


روايات مصرية | 

1

فانتازيا

د. أحمد رضا الرزويق

قصة لا تنتهي



مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تفتقر إلى
الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة
بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً
من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة
لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سواتنا ..
هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود
سيارات (الرالى) ، وليست عضواً فى فريق لمكافحة
الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى
حياتى .. تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكائنات ..
وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...
لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا
وجد لقب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...
ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معاً كيف
نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقاً إذا ما حاق بها
مكروه

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها
تخزن في مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف
الأحداث التي خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..
لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) ..
(فانتازيا) أرض الأحلام التي لا تنتهى ..
(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح ..
(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال
ولسوف نرحل جميعاً مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا
وهومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..
وهناك سنتعلم كيف نحلم ...
إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..
هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!
لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



الجزء الأول

هي

مقدمة لابد منها لتعرف كل شيء عن أبطالنا
وعاداتهم ومشاكلهم قبل أن يرحلوا إلى (فانتازيا) ..

١ - اصبرى يا (عبير) !

كانت (عبير عبد الرحمن) إنسانة ملولاً ..
كلهم قالوا عنها نفس الشيء .. أمها .. شقيقتها ..
الأستاذ (حمدى) .. (شهيرة) .. (غادة) ..
وحين يُجمع كل هؤلاء على شيء واحد ، يكون من
العسير توقع أنهم قد أخطئوا فى حكمهم .. ، و (عبير)
نفسها تعرف ذلك ، ويشير ذهولها مدى ما وصلت إليه
من ضيق خلق وسرعة ملل ..
وفى المدرسة .. فى الشارع .. فى البيت كانت ترى
وجوهاً ترمقها فى شيء من الشفقة الممزوجة بحزم
صارم .. وتسمعهم جميعاً يقولون :
- اصبرى يا (عبير) !



لم تكن تعترف لأحد بأنها كانت تغلق الحمام على
نفسها ، وتذهب إلى المرأة الرخيصة المعلقة هناك ،
والتي تناثرت على سطحها البراق تلك البقع السوداء
القبیحة ، التي سقط طلاؤها من الخلف ..
وهناك تدنو من السطح اللامع تتأمل وجهها ..
تتأمل أبشع وأقسى منظر رأتَه فى حياتها ..

من الصعب عليها أن تصدق أن هذه العجفاء السمراء
بارزة الوجنتين ، التي ترمقها من الناحية الأخرى هي
(عبير) ..

كانت تدفع شعرها إلى أعلى .. تبتسم في رقة ..
تقطّب متظاهرة بالجدية .. ترسم في عينيها الضيقتين
نظرة حاملة ..

لكن النتيجة هي هي ...

لم تزدها هذه المحاولات سوى قبح على قبح ..
بالتأكيد هي لا تبدو كممثلات السينما الحسنات ،
وعلى كل حال هي لا تشبه (عادة) على الإطلاق ...
كيف ستعرف الحب يوماً ما ؟ .. وكيف ستزوج ؟ ..
هي ليست مرعبة مثل الغيلان .. لكنها كانت بحاجة
إلى أن ترى وجهها أجمل وجسداً أرشق .. مغنوياتها
تحتاج إلى هذا .. كانت تشعر بأنها تتضاءل ، وأنها
تتقلص .. وخيل لها شبابها الغض أن هناك نوعاً من
الجمال في كل الناس سواها .. هي وحدها تعيش في
تعاسة .. تمقت الماضي وتخاف الغد ..

قالت لها أمها إنها ما زالت في مرحلة التكوين ، وأن
(خراط النساء) آت حتماً ليزورها ويسبغ على وجهها
مسحة الجمال ..

فى نفاذ صبر هتفت :

- « إئن متى ؟ .. متى ؟ » .

قالت الأم فى حنان حازم :

- اصبرى يا (عبير) !



دارها كانت فى إحدى حوارى (غمرة) الضيقة ..
وكانت هناك دوماً بركة من الماء الآسن أمام الباب ،
لا تدرى حقاً من أين تجىء هذه المياه الأبدية ، إذا لم
يكن هناك مطر ولا صنبور ماء ولا بالوعة مكشوفة ؟ ..
ولا بد أن تجد الأطفال أشباه العراة يتشاجرون ..
وقطاً أجرب يلتهم أمعاء نجاسة رمتها إحدى الجارات
الشمطاوات أمام الباب ..

وتدلف إلى مدخل البيت الضيق حيث تفوح رائحة
مقينة .. لم تعرف مصدرها يوماً برغم أنها تشمها طيلة
سبعة عشر عاماً هى عمرها ..
تصعد الدرجات المتآكلة إلى الطابق الثانى حيث
تعيش ..

الدار ضيقة مكونة من حجرتين وصالة .. أثاثها
عتيق رخيص ينم عن ذوق فظيع .. والجدران تم
دهاتها بالجير الأصفر .. وعلقت عليها تلكم اللوحات

الشنيعة التي يتصور الناس أنها فن .. تعرفون بالطبع
تلك الصورة المقرزة للطفلين اللذين هما من ذهب
وفضة .. وتلك الصورة السخيفة للمرأة التي تقرب
ثعباناً من ثغرها .. ، تلك الصور الخالية من أى فن
ويعلقها الناس دون أن يحبوها ..

ثم هناك قصاصات من المجلات الفنية ، تحمل صور
ممثلات ومطربين .. و (بوستر) كبير لـ (وليد توفيق)
ألصقته شقيقتها بالنشا على الجدار
وبصفة عامة لا يمكنك أن تجد فى هذا المنزل سريراً
لم تسقط ملته ، أو مقعداً أرجله سليمة ، أو مفرشاً لم
يتم ترفيعه ..

وكان المطبخ ضيقاً كالقبر ، به موقد غازى صغير ..
(وقلتان) فى صينية ملأى بالماء .. وثلاجة صغيرة
تلقت منذ دهور ..

فى الصالة جهاز (تليفزيون) ملون صغير اشتريته
أماها بالتقسيط من معاش الأب ، بعد أن بدأ دخل الابن
يتحسن من معرض الأدوات الصحية الذى يعمل فيه ..
وفى هذا الجهاز عرفت (عبير) أن هناك عالماً براقاً
جميلاً لا يمت بصلة لواقعها الكئيب .. رأت أطفالاً لا يلوث
الطين وجوههم ، وفتياتنا ليس فى أجسادهم طعنات
مطواة قديمة ، وفتيات لم يكسُ الفقر كعوبهن بطبقة
خشنة كالصنفرة ..

وكانت - فى المساء - تجلس مع أسرتها تشاهد
المسلسل اليومى ، وتتسلى بمراقبة وجوههم التى تتابع
الصور الملونة ، فى نظرة خاوية غير واعية .. لكنها
تتابع دون كلل ..

تصاعد الدم إلى رأسها ، وتمنت لو تفر من هذا
البيت الخائق ..

فقال لها الجميع :

- صبراً يا (عبير) !

★ ★ ★

طالبة فى إحدى المدارس الثانوية الفنية هى ..
تدرك جيداً أن المستقبل مسدود أمامها ، وأنها لن
تغدو أبداً مهندسة أو طبيبة - والأدهى - لن تكون أبداً
(باليرينا) كما تمنّت منذ نعومة أظفارها ..

هاته الفراشات الرقيقات يثبن حول النور .. لكم
تمنت لو صارت واحدة منهن ! .. لكنها كانت تدرك أن
هذا مستحيل .. حتى ولو كانت نحيلة مثلهن .. هى
لا تعرف الطريق الذى يسلكه المرء كي يصير راقص
باليه .. لكنه بالتأكيد ليس طريقها ..

تدفن أحزائها فى مداعبات سمجة مع أترابها ،
وتختطف من هذه شريط (الكاسيت) الذى أحضرته

معها .. ومن تلك صورة خطيبها ثم تخلد للهدوء إذ يدخل
الأستاذ قاعة الدرس ..

ويبدأ الكلام .. الكلام الممل الذي لا أول له ولا آخر ،
عن ثابت (بلاتك) ، والاستاتيكية ، وجند (كسرى)
الذين صبحهم الغطاريف أمام شاعر أعشى شيئاً ...
كانت عاجزة تماماً عن وضع عقلها فيما تسمعه ..
مخلصة حاولت .. وآسفة فشلت .. ولهذا رسبت مرتين
فيما سبق .. ولربما صارت المرتان ثلاثاً ، لو أنها لم
تستطع وضع السرج فوق صهوة جواد أحلامها ..
كانت تمقت هذه الجدران المقيتة الرطبة ولم تستطع
قط أن تشعر أن لها صديقة حقيقية ، مجرد وجوه فتيات
مألوفة تراها كل يوم ، ولا تحمل لها أية مودة .. ولو
أن صاروخاً ذا رأس نووى هوى فوق هذا الفصل ونجت
هى ، لما شعرت بأى حزن على زميلاتها ، ولا افتقدت
واحدة منهن ..

كان أساتذتها يؤمنون بأن لديها قدراً كبيراً من
الذكاء .. فقط لو أنها أقل مللاً وأقل شروداً وأكثر
طموحاً وأكثر اهتماماً ..
ألن ينتهى هذا السجن أبداً ؟ ..

عندئذ تقول لها المعلمة وهي تنظف السبورة :

- اصبرى يا (عبير) !



رحلة البيت إلى المدرسة .. رحلة المدرسة إلى البيت ..
لقد صار هذا قدرا محتوما .. كهجرة الطيور .. شيئا
من نواميس الطبيعة لا يتغير .. قاتونا أقوى من قوانين
(نيوتن) ذاتها ...

وفي البيت ترتدى جلباب النوم . وتجلس مع أسرتها
الصغيرة ، المكونة من أمها وأختيها وأخيها الطفل ،
يلتهمون الأرز والخضر .. الخضر بلا لحم طبعاً عدا
يوم الخميس .. أما عن أخيها الأكبر فالطعام ينتظره
عند عودته منهمكا محطماً في المساء . من متجر
الأدوات الصحية .. بعد الغذاء يأتي دور كوب الشاي .
ترشغه في النافذة الضيقة - التي لا تطل على أى شيء
في الواقع - مع أختها .. ثم تدخل الفراش الضيق الذي
يصدر صريخاً ..

وتمد يدها الناحلة إلى رفين من الخشب . قام أخوها
بتثبيتهما في الجدار ، وربطهما معا بالحبال ..
هذان الرفان يحويان كل ما كانت تريده من هذا
العالم .. عشرات الكتب المهترئة المزدحمة فوق الرفين
بانتظارها ...

من أجل هذه اللحظة تنتظر اليوم بأكمله ..
من أجل لحظة ما بعد الظهر ، تتحمل ساعات
الدراسة .. ومن أجل لحظة المساء تتحمل ساعات
الخواء والوحدة بعد الغروب ..

بين صفحات هذه الكتب ترعرعت أحلامها ونمت ..
كتب ! .. عشرات الكتب ! ..

صحيح أنها جميعاً روايات .. ولكن ما المشكلة فى
ذلك ؟ .. هى تقرأ كى تستمتع ، ولا تقرأ كى تؤدى
واجبا وطنياً .. لقد قرأت (للعقاد) ذات مرة يقول :
« إن الجسم يغذيه ما يشتهيهِ .. فأقرأ ما تحب تستفد .. » .
و (عبير) كانت تحب الروايات .. وكانت تؤمن بأن
الروايات تغذى جسدها وعقلها ، فلم تجرؤ يوماً على أن
تعتبر الروايات أقل منزلة من الكتب الفلسفية والسياسية
مثلاً ..

كانت قد قرأت جيشاً من المؤلفات لكتاب عرب
وأجانب ..

عرفت الكثير عن عالمها والعالم الخارجى ، وسافرت
إلى الصين وإلى جزر الكاريبى ، وإلى وديان القمر عبر
صفحات هذه المخترعات الساحرة ، التى يسمونها كتباً ..
تنفست مع غادة الكاميليا .. واتباعها طموح (حميدة)
المجنون الشبيه بطموح مدام (بوفارى) .. وعاشت



عرفت الكثير عن عالمها والعالم الخارجى ، وسافرت إلى الصين وإلى

جزر الكاريبي ، وإلى وديان القمر ..

فى جمهورىة فرحات .. وتسملت لىلاً إلى قصور النبلاء
مع (أرسين لوبين) .. وكادت الديناصورات تلتهمها
وهى تجتاز الأرض التى غفل عنها الزمن ...

لكم من حىوات ساحرة أضيفت إلى عمرها !..
لم تستطع قط أن تجيب جهاز (التليفزيون) ، لأن
الروايات كانت تمنحها مطلق الحرية فى الحلم .. وكانت
إذ تقرأ سطور الرواية ، تجد نفسها فى عالم ملموس
كامل التفاصيل .. بل ومسموع كذلك ، حتى أن قراءتها
لكلمة (النجدة !) مكتوبة ، كانت تجعلها تتخيل أنها
تسمعها بذات الحدة والهلع التى يمكنها سماعها فى فيلم
مصور ..

كانت عاجزة تماماً عن تمييز الغث من الجيد ..
وكانت تحسب أبطال القصة موجودين منذ الأزل ،
يتصرفون بكامل إرادتهم ..

فإذا حدث خلل فى سياق القصة أو نبت عن المنطق ،
حسبت أن هذا بسبب أن الأبطال يتصرفون بغياء لا أكثر !
لهذا كانت تقضى كل ساعات عدم القراءة تنتظر
- فى شوق جائع - ساعات القراءة ..

وكان كل من يراها فى حالة التوتر هذه ينصحها :

- اصبرى يا (عبير) !



يأتى هنا دور الجانب العاطفى فى حياة (عبير) ..
وكما قلنا هى فتاة ملأى بالحيوية ، مفعمة
بالرومانسية ..

لكن هذه الرومانسية لم تكن تخص أحدا بعينه ..
ساعدها على هذا أن الرجال الموجودين فى عالمها ، لم
يكونوا سوى حفنة من الأوغاد ، الذين يتبادلون
الطغفات بمطاوى (قرن الغزال) عند أدنى استفزاز
لهم .. وكلهم ثقيلو الظل معدومو الخيال ..

وبالتأكيد لم يكن أحدهم وسيما مثل القديس (سيمون
تمبرلر) ، أو حويطا مثل (بيرى ميسون) ، أو لغزا دائما
مثل (أدهم صبرى) ..

لهذا تركزت رومانسيته على لا أحد ..
كانت تحب الليل ، وعبير أنسام الصيف ، وارتجاف
القطط الصغيرة فى يدها .. وتمزج كل هذا بصوت
(عبد الحليم حافظ) الملىء بأشجان المراهقة منذ
الأزل ... وكانت تخلق من كل هذا كيانا عملاقا لا شكل
له ولا حدود .. وتحبه ...

وحين كانت تتساءل سرا - وهى تتابع الدرس فى
الفصل - عن اليوم والطريقة التى ستحوز بها على
ذلك الكائن ، كانت تتهد وتهمس لنفسها :

- اصبرى يا (عبير) ...!

★ ★ ★

٢- مشكلة دوائر متكاملة ...

والآن نحرك عقارب ساعتنا بضع أيام إلى الوراء ..
فى شقة أنيقة بـ (العجوزة) . يقف (شريف)
يتأمل خارطة الدوائر المتكاملة المعلقة على الجدار ، والتي
امتلات بالأسهم الحمراء التي تم محوها بأخرى زرقاء ..
ثمة شيء ما خطأ ، لكنه لا يستطيع تركيز ذهنه ،
خاصة والحاجة إلى التبغ تمزق أعصابه .. لكنه أقسم
منذ أربعة أيام ، على ألا يلمس لفافة تبغ أخرى ..
وها هو ذا اليوم الخامس يبدأ ، والحاجة الملحة تتزايد ..
تناول بعض أقراص النعناع ، وجرع بعدها كأساً من الماء
البارد ؛ ليتلذذ بذلك الشعور الحارق المنعش فى حلقه ..
ثمة شيء ما خطأ ...



اسمه (شريف إبراهيم) .. فى العقد الرابع من
عمره .. وسيم كسيارة جديدة براقعة لم تسر على
الأرض متراً واحداً .. فارغ القامة ..
يمكنك - دون جهد - أن تحسبه ممثلاً أو عارض
أزياء .. ولا تجرؤ على تخيل أن هذا الرأس الجميل
يحوى مخ عبقرى ..

العباقرّة - كما علمتنا القصص المصورة - لا علاقة
بينهم وبين الجمال .. وصلح الرأس علامة أكيدة على
اكتنازه بالأفكار ..

لكن (شريف) حطم القاعدة منذ زمن ..
منذ طفولته والجميع يؤكدون أن هذا الطفل (معنوه
لكن فيه شيئا ما لا يمكن وصفه) .. كان أبوه يقسم
على هذا ، بينما (شريف) يهشم المنبه .. يكسر المنياح ..
يفك المروحة ..

عندئذ كان الأب يؤكد في فخر :
- التخريب علامة على العبقرية لدى الطفل ! .. هذا
ما يؤكد د . (سبوك) (*) في كتابه .. لقد قرأت كل
سطر فيه !

وتمرّ الأيام ...

وكل مواليد برج (الجوزاء) ، جرب (شريف)
كل شيء .. جرب كتابة الشعر ، والسفر بطريقة
(الأوتوستوب) ، وتعلم المصارعة الحرة ، لكنه - ككل
مواليد برج (الجوزاء) - لم يبرع في شيء ...

(*) بنيامين سبوك : طبيب أطفال أمريكي له كتب عدة حول
تربية الطفل أشهرها (دستور الأم) .

وفى السادسة عشرة من عمره ، التحق بالجامعة
الأمريكية ليدرس بها ذلك العلم الغامض الكهنوتى
(الكمبيوتر) ..

وكانت هذه هى عصا الساحر التى لمستته ، لتقلب
حياته رأساً على عقب .. كفاً عن الأكل .. عن
الشراب .. عن النوم .. غرق فى لجة الإدمان اللذيذ
لهذا الاختراع الرهيب .. لقد وجد حبه الضائع ! ..

وسافر إلى الولايات المتحدة ؛ ليتعمق أكثر فى
دراسة (الكمبيوتر) ، وأثار ذهول من علموه هناك ..
لأنه دنا منهم .. ثم صار مثلهم .. ثم سبقهم فى مجالات
عديدة .. !

وحين عاد إلى مصر أخيراً ، كانت أبواب العمل كلها
مفتوحة أمامه . واستطاع أن يلتحق بإحدى الشركات
الأمريكية لأعمال الحاسب الآلى .. وكان راتبه مجزياً
ولم يلق أية مصاعب فى الزواج من (إيناس) زميلته
القديمة فى الجامعة .. كما أنه لم يلق أية مصاعب فى
الطلاق منها بعد عامين ، لأنها لم تعد تتحمل أكثر :

- أنت إنسان أنانى ، غير مؤهل لتكون زوجاً أو أباً
أو حتى بواب عمارة .. أنت فاقد الإحساس بالآخرين ..
غارق فى عالمك ليلاً ونهاراً .. فلم يعد لديك متسع لإنسانة
معتوهة ، ظننت أنها قادرة على أن تصنع معك أسرة !

وحين رحلت - أخيراً - ظل خمس ساعات أمام شاشة
(الكمبيوتر) يحاول تغيير الحماية التى ابتكرها للقرص
المرن .. وحين نجح أخيراً ؛ أعد لنفسه قذفاً من
القهوة وجلس يرشفه أمام الشاشة .. وغمغم :

- « حسن .. أنا الآن وحيد . أخيراً أنا وحيد ! » .

لن يطالبه أحد بعد اليوم بزيارة الأقارب ، أو شراء
البقالة ، أو دفع فاتورة الكهرباء ، أو اصطحابه إلى
طبيب الأسنان ، أو ...

هو اليوم وحيد تماماً .. ولئن هلك جوعاً أو صعقتَه
الكهرباء ، أو انفجر فيه السخان ، فلن يعرف أحد بذلك ،
سوى حين يشم الجيران رائحة عفن خارجة من شفته ..
عندئذ ينتقل إلى المكان المقدم (فلان) والعقيد (فلان)
ليهشموا باب الشقة . ويخرجوا جثته ! ..
حمداً لله العلى القدير !

★ ★ ★

فى البدء كان خاطراً .. ثم غدا احتمالاً ..
وعلى الورق استطاع أن يخط عشرات (الاسكتشات)
لفكرته المجنونة ، التى صارت تطارده ليلاً ونهاراً ..
وتحرمه متعة النوم ..

لم لا يقوم بتصوير الأحلام !؟ ..

لم يجروا على أن يصارح أحداً بذلك . لكنه تبنى
الفكرة .. فهو يعلم أنه قادر على تنفيذها ..

وكان أحد أصدقائه قد صار أستاذاً لعلم وظائف
الأعضاء بجامعة (...) . فذهب إليه يستشيرهُ .. إن
الأحلام هي مجرد نبضات كهربية خافتة تعبر أجواز المخ
من خلية إلى أخرى .. فلم لا يمكن التقاطها وترجمتها ؟ ..

إن الفكرة ذاتها حلم كبير لكن يمكن تحقيقه ..
حدثه الطبيب عن المشعوذ البريطاني . الذي كان
يتخيل صورة ما ، ويمسك بعدسة الكاميرا حتى إذا
ما أحسن بأن الصورة واضحة ؛ ضغط الزناد ..

عندئذ كانت خيالاته تنطبع على الفيلم ..
قال لصديقه وهو يجذب شعيرات سالفه كعادته حين
يفكر :

- ربما لم يكن نصاباً .. لكن - حتى لو صخ هذا -
فطريقته تعتمد على قدرات نفسية خارقة غير متاحة
للجميع .. وأنا أبحث عن طريقة (شعبية) تناسب كل
إنسان ..

- إذن عليك أن تدرس جهاز رسم المخ الكهربى
بغاية .. فهو يلتقط النبضات الكهربائية الخافتة ، ويحولها
إلى نبضات يمكن رسمها على الورق ..

- أدرسه .. ؟ ..

بل سأفعل ما هو أكثر .. سأشتري واحدا لنفسى ..!

★ ★ ★

كان هناك الكثير من الفضل ..

فهو لم يكن خبيرا بالإلكترونيات .. إنه أستاذ فى برمجة الحاسب الآلى ، لكن هذا يختلف تماما عن دراسة نواتره وتوصيلاته .. ذلك العلم المسمى (هارد - وير) ..

إن الفارق ما بين علم البرمجة (سوفت - وير) وعلم الـ (هارد - وير) هو ذات الفارق ما بين دراسة علم النفس ودراسة تشريح المخ ..

لقد اقتضى منه هذا جهدا لا يوصف ، وأقداحا عديدة من القهوة ..

لكن جزاء العرق مجز دائما ...

وحمد الله كثيرا لأن زوجته قد تركته .. فما كانت لتتحمل كل هذا التركيز المفرط ، ودخان التبغ فى كل مكان .. كانت ستطالبه بأشياء ، وأشياء ، وهو يفتقر إلى أية سعة نفسية فى الآونة الحالية ..

★ ★ ★

فى البدء قام بتحويل عدد من الصور الفوتوغرافية إلى صور على شاشة (الكمبيوتر) ، صالحة لدخول

ذاكرته .. إن هذا سهل .. ويعتمد على استخدام جهاز
يسمى (ديجيتايزر) .. وهو جهاز متاح للجميع ..
لكن (شريف) قام بدراسة عمل هذا الجهاز بعناية ؛
ليعرف كيف تتحول بضع نبضات كهربية إلى صورة على
شاشة (الكمبيوتر) ..

ثم إنه عكف على دراسة جهاز رسام المخ الكهربى ؛
ليعرف كيف يحول الأفكار المجردة إلى نبضات كهربية ..
وبمساعدة مهندس إلكترونيات ، تمكن من تصنيع
دائرة توفيقية ، قادرة على نقل نبضات رسام المخ
الكهربى إلى جهاز (الديجيتايزر) ، مع تغيير دوائر
هذا الأخير ، لتنتقل إلى (الكمبيوتر) بيانات رقمية
تسمح له برسم صورة ..

كم من محاولات فاشلة غاص فيها !..

وكم من إحباطات عاشها !..

إن ترشيح نبضات المخ الخاصة بالتخيل ، كان عملاً
مستحيلاً . لكنه لاحظ أن لها تردداً معيناً يمكن قياسه
واستبعاد ما دونه وما فوقه ، وبالتالي يتم ترشيحه
وتوصيل اللازم إلى (الكمبيوتر) ..

ثم كان على (الكمبيوتر) أن يعيد تنسيق هذه النبضات
على شكل صورة محددة المعالم .. بل ومتحركة ...

وفى اليوم الموعود : جلس (شريف) على مقعد
مريح ، وربط الأقطاب على دماغه .. ثم ضغط زرّ جهاز
رسم المخ ، وشرع يركز ذهنه فى صورة ثابتة محددة ..
هذه الصورة التى اختارها هى وجه أمه يتأرجح بين
العبوس والبشاشة ..

وأمام عينيه المذهولتين رأى الصورة تتشكل ببطء
على شاشة (الكمبيوتر) .. !
مذهبة نعم .. مليئة بالخدوش حقاً .. لم تكد تظهر
حتى بدأت تتلاشى لأن عقله كفّ عن التركيز حين شاهد
الشاشة !

لكنه فعلها ! .. فعلها ! ..

نزع الأقطاب ، وشرع يرقص فى أرجاء الغرفة دائساً
نباتات الظل .. مبعثراً الأكواب ورامياً منفضة التبغ
على الأرض ..
لقد فعلها ! ..

★ ★ ★

وتمرّ الأيام ...

ويزداد (شريف) إتقاناً لعمله ...

قام بتوصيل جهاز (الفيديو كاسيت) إلى (الكمبيوتر)
ليسجل ما يراه ..

ثم بدأ يركز ذهنه لمدة دقائق ..
فى النهاية كان لديه شريط مدته خمس دقائق ،
يصور وحشا أسطورياً قد برز من تحت الماء ليلتهم
سفينة ..

وفى الأيام التالية شرع يخلق أفلاما كاملة لها حوار
وأحداث .. أفلاما بلا ممثلين ولا مخرجين ولا مصورين ..
أفلاما ولدت من خلايا مخه هو وحده ..!

أحيانا - وهذا حق - كانت الصورة تهتز .. وكان
وجه البطل يتغير عدة مرات فى نفس الدقيقة .. وكانت
حواف المشهد مهزوزة غير واضحة .. لكن المشكلة
هى مشكلة تركيز ..

كلما ازداد التركيز . ازداد وضوح المشهد .. وكلما
قل تشتتت الصورة وضاعت معالمها ..

- « عزيزى (شريف) ! » - قال لنفسه - « أنت
عبرى .. يمكنك أن تنتج من الأفلام السينمائية ما يملأ
مكتبة (فيديو) دون أن يكلفك الإنتاج مليئا واحدا ! » .
لقد بدأ يبيع الخيال .. فوجده مربحا .. ولكن ..



لكن العباقرة لا يشبعون ..
و (شريف) كان عبقرى - على الأقل بالنسبة لنا -
لهذا لم يرض قط عما وصل إليه ..



في النهاية كان لديه شريط مدته خمس دقائق ، يصور وحشاً
أسطورياً قد برز من تحت الماء ليلتهم سفينة ..

إن اختراعه غريب حقاً ومسلّ .. لكنه غير ذى نفع
اقتصادي ..

من الصعب أن يجد التركيز الكافى لعمل أفلام طويلة
روائية ، ولو أنك حاولت أن تتخيل لبضع دقائق منظر
ساحة قتال يتعارك فيها جيشان ، لأدركت تعقيد الأمر ..
من المستحيل تقريباً أن تحافظ على التتابع فى خيالك ..
من ضرب من ؟ وأين ذهب سلاح هذا ؟ ومتى سقط
هذا ؟ إلخ ..

هذه الأشياء تكون رمزية عند التخيل ، لكنها على
الشاشة تغدو هستيريا حقيقية ، والمباتى تتحول إلى
بقعة من اللون الرمادى لأنك - بالطبع - غير قادر على
تخيل كل نافذة وكل جدار فى المبنى .

لهذا أيقن (شريف) أن الاستفادة من اختراعه
عسيرة جداً .. ربما يحتاج الأمر إلى كاهن من كهنة
(زن) اليابانيين الذين لا يفعلون شيئاً فى حياتهم سوى
التركيز ..

وخطرت له فكرة أخرى ..

لم لا يعكس عمل الجهاز ؟ ..

لم لا تسرى النبضات من (الكمبيوتر) إلى المخ ؟ ..

ألن يصنع وقتها آلة أحلام حقيقية ؟ ..

شرع يجرب ويجرب .. قام بعكس الدوائر بالكامل ..
ثم وضع صورة على شاشة (الكمبيوتر) ولكن .. لا ...
إن رؤيته للصورة قد تؤدي به إلى أن يتخيلها تلقائياً
دون معونة الجهاز ..

لذا اتقى عشر صور فوتوغرافية تمثل قطاً .. بيتاً ..
(مادونا) .. (شوبير) .. إلخ ... وأدخلها إلى ذاكرة
(الكمبيوتر) مستعملاً جهاز (الديجيتايزر) إياد .. ثم
كتب برنامجاً قصيراً يجعل (الكمبيوتر) ينتخب صورة
عشوائية ويرسلها إليه .. وعمله هو أن يعرف أية
صورة هي ..

وضع الأقطاب على رأسه .. أغمض عينيه وشرع
ينتظر ..

أخيراً رأى بعين الخيال - وبوضوح تام - صورة سيارة
تندفع على طريق صحراوي مقفر .. إن هذا للرائع ! ..
المشكلة الوحيدة هنا هي أن هذه الصورة لم توضع على
(الكمبيوتر) أصلاً ! .. لقد كانت صورة (شوبير) هي
الظاهرة الآن على شاشة الجهاز .. فالسيارة إذن مجرد
صورة عابرة زارت ذهنه بطريق الصدفة !

ومعنى هذا أن المحاولة فشلت ..

كان هناك شيء ما خطأ .. ولكن ما هو ؟ ! ..



٣- لقاء غير منتظر ...

جلس (شريف) مع صديق عمره (صفوت) ، فى
شقة هذا الأخير يتحدثان .. وكان (شريف) يحب
(صفوت) كما هو .. بمعنى أنه لا يعبأ كثيراً بكونه
نصاباً .. مدعياً .. ضيق الأفق .. تافها .. !

كان (صفوت) يريح جسده البدين المترهل على
الأريكة . ويلتهم حبيبات الترمس التى قدمتها لهما
زوجته .. ويقول :

- أنت هو أنت يا (شريف) .. الراكض الأبدى وراء
الأوهام .

- ما دمت أؤكد لك أن هذا ممكن .

قالها (شريف) ومذ يده إلى جيبه ليخرج علبة
التبغ .. ثم تذكر أنها غير موجودة ، وأن الموجودة
مكاتها هى أقراص النعناع إياها .. تناول قرصاً ورماء
فى فمه وأردف :

- إن الاختراع يعمل .. أنا واثق من كونه يعمل ..
لكن هناك عدة مشاكل لا مفر من مواجهتها .. فصراع
الأفكار الداخلى لدى أمثالنا ، يجعل استجابة المخ للإحاء
شبه معدومة .. إن من يمر بهذه التجربة لا بد أن يتمتع
بمواصفات معينة ...

وفتح أصابع يده اليسرى ليعده عليها بسببته اليمنى ..
أولاً : يجب أن يكون شخصاً ضعيف الإرادة سهل
الإيحاء إليه ..

ثانياً : يجب أن يكون جاهلاً بالعلوم تماماً ..
ثالثاً : يجب أن يكون واسع الاطلاع فى الأدب ..
رابعاً : يجب أن يكون رومانسى النزعة .. وأن يكون
واسع الخيال .. وبعبارة أخرى يجب أن يكون امرأة ...
خامساً : يجب أن يقبل وضع هذه الأقطاب المرعبة
على جمجمته ..

ضحك (صفوت) فتناثر الترمس الممضوغ من فمه ..
وقال :

- أما هذا فلا .. لن أقبل أن أرتدى طاقية المخابيل
هذه ، ولو دفعت لى وزنى ذهباً ..
نظر له (شريف) فى مقت ..
من الصعب عليه أن يصدق أن هذا الخنزير المترهل ،
كان هو الآخر مهندس (كمبيوتر) .. إن (الكمبيوتر)
- على غرار الشعر - يحرق الروح بنيران القلق ..
ولا يمكن للشعر و (الكمبيوتر) أن يسكنا فى جسد بدين
راض عن نفسه إلى هذا الحد .. بل هما لا يستطيعان
أساساً عبور طبقات الدهن والشحم ..

فى حياته لم يعترف قط بشاعر بدين .. ولم يشق قط
فى خبرات مبرمج (كمبيوتر) مكتنز .. والاستثناء الذى
يؤكد القاعدة ولا ينفيها هنا هو (صلاح جاهين) عبقرى
الشعر .. و (صفوت) موهبة (الكمبيوتر) التى لم
يختلف عليها اثنان ...

لكن (صفوت) كان قصير الأنفاس قريب الطموح ..
أثر الطريق السهل ، وافتتح مكتباً صغيراً (الكمبيوتر)
هو عبارة عن شقة مفروشة ضيقة فى حى شعبي ..
تعرفون بالطبع هذه المكاتب التى تملأ المدينة ، ويكون
اسمها مجرد تباديل وتوافيق بين حروف (الآى)
و (السى) . مثل (آى سى آى) و (سى آى آى)
و (سى سى آى) إلخ ..

مع لافتة تؤكد أن المكتب يضم نخبة من علماء
(الكمبيوتر) و .. و .. ثم فى الداخل لا تجد سوى فتاة
شاحبة مصابة بالأنيميا . ترتدى شبشباً ، وثلاثة أجهزة
(كمبيوتر) ، متهاكة ، يلعب عليها الصبية ألعاب
(الفيديو) السخيفة ..

كان هذا هو المجال الذى ارتاح إليه (صفوت) .
ووجد ذاته فيه فالأمر لا يكلفه سوى سرقة البرامج
المباعة فى السوق ، ونسخها على شرائط (كاسيت)
تباع كالكعك الساخن ...

كان هذا هو (صفوت) ..
لكن (شريف) كان واقعياً .. وكان يعرف أنه لو
انتظر قدوم إنسان بلا عيوب كى يصادقه ، فلسوف
ينتظر طويلاً ...

قال (صفوت) :

- ثم .. حتى لو نجح اختراعك هذا .. فما نفعه ؟
- ألا تجد شيئاً مفيداً فى جهاز يصنع الأحلام لمن
عجزوا عنها ؟

- (الأقيون) يقدم ذات الشيء .. ولا أحد يعتبره مفيداً ..
- (الأقيون) يسبب الإدمان .. وهو بكل المعايير
خطوة للوراء . أما هذا الجهاز فخطوة إلى الأمام .. بل
خطوات ..

- تريد بيع أحلام اليقظة وتعتبرها خطوة للأمام ؟!
صعد الدم إلى رأس (شريف) وتحفز فى جلسته .
- لن تكون أحلام يقظة .. بل هى نتاج خبرات المرء
وثقافته ، يتم صهرها والتفاعل معها .. تخيل لو أنك
عالم رياضيات ، ورأيت حلماً يناقشك فيه (فيثاغورس)
و (الخوارزمى) و (نيوتن) و (أينشتين) .. !
- وهل سيكونون هم المتكلمين حقاً ؟

- بل سيكون عقلك يحاور نفسه .. وهذه المحاورة
ستجلب أفكاراً أرقى وأعمق بكثير مما حسبت نفسك قادراً

على إيجاده .. وإذا تم تسجيل كل شيء على شريط
(فيديو) ، نكون قد قدمنا للبشرية أعظم اختراع تثقيفي
بعد التليفزيون ..

نظر (صفوت) إلى (شريف) بضع ثوان .. ثم غمغم :
- أكره أن أراك فاشلا يا (شريف) .. لهذا - أرجوك -
كن حنرا .. !



وفى ذلك الصباح المشمس ، غادر (شريف) صدفه
السلحفاة التى عاش بها شهورا .. سار فى الطرقات
قاصدا مكتب (الكمبيوتر) - ونقولها تجاوزا - الخاص
بصديقه اللعين (صفوت) ..

لم تكن الشمس قد رأت جلده منذ فترة طويلة ..
لا شيء سوى الضوء الصناعى ، والأحرف الخضراء
على (المونيتور) . ودخان التبغ ، وأقداح القهوة ..
أقداح القهوة التى - حتما - حولت دمه إلى قهوة
ساخنة تجرى فيها بعض الكريات الحمراء ...

لهذا - وله الحق - شعر بالابهار والرضا عن
الكون .. وشرع يتأمل الناس فى نهم ..

ثم رأى اللافتة النيون مكتوبا عليها : (آى . سى . سى)
للكمبيوتر .. خدمات - استشارات - ألعاب - تأجير -
خبراء متخصصون .. هذا هو العنوان إذن ...

اجتاز المدخل الرطب حيث تتراص الدراجات مربوطة
بجنازير إلى ماسورة مياه صدئة أفقية ..
وقبل أن يدخل الباب ، سمع الصوت المميز إياه ..
بوم ! .. بوم ! .. ! .. دزززز ! .. كليك ! .. دزززز ! ..
كليك !

هذا الصوت المميز لألعاب (الكمبيوتر) ، التى يسمونها
(أركيد) .. وهى ألعاب قائمة كلها على (تحاش
واضرب) .. هناك دائما أشياء تحاول أن تصطم بك
(ولتكن سفن فضاء ، أو شهبان ، أو زهورا ، أو محاربى
فايكنج) ، وأشياء يجب أن تطلق عليها النار . ضاغطا ذلك
الزرّ الأحمر فى عصا اللعب .. عندئذ تنفجر هذه الأشياء
(بوم !) أو تمنحك مزية ما .. المهم أن كل هذه الألعاب
سواء ..

ومن الغريب أن (شريف) كتب مثل هذه الألعاب
مرارا .. لكنه ظل عاجزا عن إجادة لعب حتى تلك
الألعاب التى خلقها بنفسه !

كان هناك عشرة فتيان ملتفين حول ثلاثة أجهزة
(كمبيوتر) .. وكلهم من تلك السن التى تدل على أنهم
فى المرحلة الإعدادية .. وكات سمات الإيمان والاستغراق
بادية عليهم ، وهم يتميلون بأجسادهم أمام الشاشة .

محاولين زيادة فعالية عصا التحكم .. كأنما أجسادهم هي
نفسها مركبة فضاء . من التي يرونها على الشاشة ..
كانوا يقسمون بـ (عهد الله) وينادون بعضهم
بـ (يا كابتن) . كديدين الصبية في هذه السن ..

بززز ... كلاكش ... بونج ...! بام ...!
وسط هذه الضوضاء اجتاز (شريف) طريقه باحثا
عن (صفوت) .. إن دوران المنظر الخلفي (السكرول) .
يبدو متقطعا في هذه اللعبة التي يراها على اليمين .. وهذا
خطأ فادح من صناع اللعبة .. هكذا فكر وهو يرمق
الشاشات بنصف عين ..

وعلى مكتب متهاك في ركن القاعة ، جلست فتاة ناحلة
سمراء . تقرأ في اتهمك كتابا ما .. وأمامها كراسية دونت
بها أسماء اللاعبين ، وميعاد إتهاء كل دور ..
لنا منها فأحست بوجوده .. قالت دون أن ترفع عينيها :
- لا توجد أجهزة شاغرة .. ميعادك بعد ساعة من

الآن !

إن فهذه الملعونة تحسبك (كابتن) أنت الآخر !! ..
إلى رأسه صعد الدم . وأوشك أن يصارحها برأيه
فيها . لكنها رفعت عينيها .. رأت أمامها أوسم رجل
رأته في حياتها ، وعرفت أنها أماته دون قصد ...
شاعت ابتسامة مشرقة على وجهها . وهبت تعتذر ..
فقال :

- كنت أبحث عن المهندس (صفوت) و

- هو أت حالا .. تفضل بالجلوس ..

جلس فى حرج ، وأعاد ربط رباط عنقه .. مهذبة
هى .. ويوجد شىء مريح فى وجهها .. نظر إلى
الكتاب الذى كانت تقرأه ، متوقفا أنه لن يكون أكثر من
كتاب عن الأبراج ، أو رسائل الحب ، وهى نوعية
الكتب التى تقرأها فتاة من نوعيتها .. ولكن .. كان
الكتاب مجموعة قصص لـ (ويليام فوكنر) !..

غريب هذا !.. هو نفسه لم يقرأ سطورا لـ (فوكنر)
برغم أنه كان فى (أمريكا) ، ويعرف أهمية هذا الأديب
وتعقيد كتاباته ..

- هل تسمحين لى ؟

ومذ يده مستأذنا فناولته الكتاب ..

كتاب مهترئ يوحى بأن صاحبه قد افترسه افتراسا ..
من هى هذه الفتاة ؟.. هل هى تعمل هنا ؟..
وبدا يحاورها محاولا معرفة شىء عنها ...

- اسمى (عبير) .. (عبير عبد الرحمن) .. أقطن
قريبا من هنا .. حاصلة على دبلوم فنى منذ أيام ..
بالطبع لم أجد عملا ولن أجد .. ثم عرفت أن
(الباشمهندس) يبحث عن فتاة ترعى هذا المكتب .

- وما هي طبيعة عملك ؟ .. هل تعرفين شيئا عن
(الكمبيوتر) ؟ ضحكت في طلاقة (وإن ظلت محتفظة
بحياتها) وقالت :

- لا أعرف عنه حرفا .. كنت بحاجة للمرتب ..

- وما هو مرتبك ؟

احمر وجهها هنيهة .. ثم قالت :

- خمسون جنيها !

خمسون جنيها ! .. المبلغ الذى تتفقه أنت على
الغداء فقط يوميا فى ذلك المطعم اللعين !.. لم يستطع
أن يصدق أن هناك أناسا فقراء إلى هذا الحد . هو الذى
عاش فى سعة منذ ولد .. لو عرفت هذه الفتاة (حقيقة)
راتبك لأغشى عليها .. أو أصابها جنون ذهولى إذن
فلتصمت ولا تعلق ...

- ومتى تعلمت (الكمبيوتر) ؟

- قلت لك أبى لا أفقه حرفا .. فقط علمنى (الباشمهندس)
كيف أنتقى شريط (كاسيت) . وأضعه فى (الكاسيت) .
ثم أنقل برنامج (الكمبيوتر) إلى الجهاز .. وأبدأ اللعبة ..
ثم أطفئ الجهاز بعدها ..

- إذن لا تستعملون الأقراص ؟

نظرت له فى غباء .. ولم تفهم ..

- إن القرص - مثل شريط (الكاسيت) - وسيط تخزين .
لكنه أكثر سعة وسرعة ...

ثم إنه مطّ شفتيه فى اشمزاز :

- هذه هى كل علاقتكم (بالكمبيوتر) ؟ .. اللعب ..
- نعم ..

- يصعب على أن أرى هذا الجهاز العبقري يهان إلى
هذا الحد كأنك جنت بـ (بيتهوفن) وطلبت منه أن
يعزف فى الأفراح .. أو جنت يبطل العالم فى رفع
الأثقال ، وجعلته حمّالاً فى (رمسيس) ..

ابتسمت للتشبيه . وأيقن هو أنها تفهمه .. الفتاة
التي تقرأ (فوكنر) لابد أن تفهم كلام (شريف) ..
وهنا تعالى صوت قرعات متكررة ، فهرعت الفتاة
توبخ الصبية . بأنه ممنوع استعمال المسطرة بدلا من
الزر الأحمر ..

دزززز ! .. بوم ! .. كليك ! .. باتج باتج ! .. دزززز !
وبينما هو غارق فى هذه الضوضاء الإلكترونية :
سمع صوت (صفوت) يرحب به ...

- أخيرا تنازل الكاهن الأعظم ، وجاء يزور تلاميذه
(الأرزقية) !

ودعاه فى حرارة كى يصحبه إلى غرفة أخرى . فتح
بابها بالمفتاح ..

غرفة ضيقة بها جهاز (كمبيوتر) شخصى على مكتب صغير .. وطابعة .. وحزمة من الأقراص المرنة ..
- هذه هى صومعتى .. آخر علاقة لى (بالكمبيوتر) كعلم .. هيه ! ..

أراهن على أنك لم تحب كل ما رأيته ..
جلس (شريف) على مقعد جلدى ، وغمغم :
- أرجو إعفائى من ذكر رأى فى الأمر ككل ..
ثم أشار إلى الباب .. وتساءل :
- هذه الفتاة .. ما قصتها ؟

- مجرد فتاة بانسة تعاني الفقر والبطالة .. وقد تدخل كرمى الطبيعى ليجعلنى أتيح لها فرصة الكسب ..
كسب أيها الوغد ؟! .. كسب خمسين جنيها عليها أن تأكل بها ، وتتزين بها ، وتستقل الحافلة بها ؟! ..
لكنه لم يصارح (صفوت) بأرائه ، لأن هذا سيجلب المتاعب للفتاة البانسة .. وهو لا يضمن (صفوت) ..
قال (صفوت) وقد خزن بعض ما فى ذهن صديقه :
- ليس ما تكسبه كثيراً بالطبع .. لكنها لن تكسب شيئا إذا بقيت فى دارها .. ثم إنها فى سن زواج ، ولابد أن يراها أحدهم ليتزوجها .. !

- ياله من منطق !

وإلى فمه حمل قرصين من النعناع .. وتساعل :
- هل هي تقرأ كثيراً ؟

- تقرأ ؟ .. إنها عثة كتب ! .. صحيح أنها لا تقرأ
سوى روايات ، لكنى لم أر فتاة فى مثل ظروفها تطالع
كل هذا الكم ..

نظر (شريف) إلى خارج الغرفة . وقد بدأت فكرة ما
تتبلور فى ذهنه ..



ظل طيلة المساء يرمق الضوء الخافت المنبعث من
شاشة (الكمبيوتر) .. المؤشر يتألق منتظراً الأوامر
الجديدة .. لكن (شريف) كان شاردًا يفكر فى (عبير)
التي قابلها اليوم ..

لم لا .. ؟

أولاً : واضح أنها ضعيفة الإرادة سهلة الإيحاء ..

ثانياً : هى لا تفقه شيئاً فى مجال العلوم ..

ثالثاً : هى (عثة كتب) كما قال (صفوت) عنها ..

رابعاً : واضح أنها امرأة ..

خامساً : يمكن بشيء من الإلحاح والإقناع والإغراء

المادى ، أن تقبل وضع تلك الأقطاب على رأسها ...

إن هذه الفتاة ملائمة مائة بالمائة ، وقد ساققتها

عناية الله إلى طريقه ليجرى عليها التجربة الكبرى ...

المشكلة هنا ليست هي هل تقبل ؟ .. بل هل يقبل
(صفوت) ؟ .. حتما هو يخشى مسئولية كهذه ، ولن
يقحم نفسه فيها .. ثم هو لن يجازف بفقد هذه الفتاة
المطبعة المتواضعة . التى تعمل اثنى عشرة ساعة
يومية - دون غداء - تحصل على خمسين جنيها فى
الشهر ..

يجب أن يقبل (صفوت) .. وعندئذ ستقبل هي ..



(عبير) أيضا لم تستطع القراءة إذ رقدت فى
فراشها الضيق ..

لم تستطع أن تتسى ذلك الوجه الوسيم الباسم
الممتلئ رجولة وحنانا لقد حدثها بطلاقة كأنه يعرفها
منذ زمن . وأحست معه بأنها جميلة ، فهو لم يظهر
ما يدل على أنه لاحظ قبحها ...

كان وجهه هو ذلك المزيج الساحر من (الآن
ديلون) . ومدرس التاريخ ، لو أن هذا الأخير لم يكن
أحول ..

وايقنت أنها ستراه مرة أخرى .. حتما ستراه مرة
أخرى ..



- لا ياسيدى .. لن أسمح لك !

- ولكننى أؤكد لك يا (صفوت) ألا مخاطرة هنالك ..
مسح (صفوت) العرق المتكاثف على مؤخرة عنقه
وجبينه .. وقال فى عصبية وهو يلتهم المزيد من
(الخس) :

- تشومب .. تشومب ! .. هذه التجربة قد تسبب الخبال
لها .. وعندئذ أكون أنا مسنولا عن هذا أمام أهلها ..
- ومن أين يأتى الخبال ؟ .. أنا جربت ذات الشيء
على نفسى ..

- ولم تحظ بنتيجة ما .. إذن أنت تتوقع أن تتبدل
الأمور .. وكيف ؟ .. ربما يحدث للفتاة ما لم يحدث
لك .. تشومب تشومب !

فى استسلام قلب (شريف) كفه المفتوحة كناية عن
العجز ..

ثم إنه تناول عودا من (الخس) دسّه فى فمه ..
وقال :

- تشومب تشومب ! .. إذن دعنى أحاول الكلام إليها
بنفسى والأمر بعد هذا رهن بإرادتها الحرة ..

- تشومب تشومب ! .. لك هذا .. ولكنك ستجعلها توقع
إقرارا يقول إتنى لم أرغمها على شيء ولم أ تدخل فى
الأمر كله ..

- الإقرار - تشومب تشومب ! - سيجعلها تتوجس خيفة ..

- إما هذا وإلا فلا ..

- تشومب تشومب ! .. عليك اللعنة !



لا يمكننا أن نعرف الأسباب الكاملة ، التي دفعت (عبير) إلى القبول ..

ربما كان هناك ذلك الانجذاب الواضح إلى (شريف) ، وشعورها بأنها تستطيع أن تترك له مصيرها ولا تخشى شيئا ..

ربما كان السبب احتياجها للمال .. وقد وعدها بثلاثمائة جنيه عن كل تجربة تمرّ بها ..

وربما كان السبب الأهم ، هو حاجتها إلى الفرار .. بعيدا بعيدا عن واقعها الكئيب .. لقد وعدها بأنها سترحل إلى جنة الخيال .. فلم لا ؟ .. لطالما تمنّت هذا منذ تعلمت أن تحلم ..

وربما كان السبب هو أنها لم تعد تملك ما تفقده ، ولا يعينها كثيرا أن تموت أو تفقد صوابها .. فماضيها بائس ، وحاضرها تعس ، ومستقبلها مظلم .. هي تعرف هذا جيدا ولن تخسر شيئا لو حاولت ..

الخلاصة أنها وافقت .. وكتبت ذلك الإقرار بخطها
الردىء ..

★ ★ ★

والآن يجيء اليوم الموعود ...
تجلس (عبير) على مقعد فى غرفة (صفوت)
مسترخية ..

على حين يبدأ (شريف) فى وضع الأقطاب على
رأسها ...

إنها اللحظة المنتظرة ...
لحظة السفر إلى (فانتازيا) ...

★ ★ ★



والآن يجئ اليوم الموعود ..

تجلس (غير) على مقعد في غرفة (صفوت) مسرحية ..

الجزء الثانى

الرحيل

أعتقد أننا الآن قد عرفنا كل شيء عن المسافر .. فلم
تبقى سوى الرحلة ذاتها .. ومن يدري ؟ .. لربما كان
هذا الجزء مشوقاً كما نأمل له أن يكون ...

١ - ما قبل الرحيل ...

قال (شريف) وقد احمرت أنفاد من فرط اتفعال يكاد يقتله :

- الجهاز الذى نحن بصدد تجربته يا (عبير) . هو فريد من نوعه .. وقد اخترت له اسما موحيا (دى - جى - ١) ..

قال (صفوت) فى ملل وهو يلفظ قشور اللب :
- ولماذا (دى - جى - ١) وليس (دى - جى - ٩٥) مثلا ؟ ..

- (دى - جى - ١) معناها (دريم جنريتور) أى مولد أحلام .. ولما كان هو أول نموذج ، كان من الطبيعى أن يأخذ الرقم (واحد) ..

- مفهوم .. وإن كنت أفضل أن تسميه اسما عربيا مثل (م - ح - ١) وهو يفى بالغرض ... إن ولعكم بالتغريب ...

- ليس تغريبا .. إن الإنجليزية هى لغة العلم اليوم .. واليابانيون يسمون مخترعاتهم بأسماء إنجليزية .. و ... ألن تدعى أكمل كلامى هذا العام ؟!

هز (صفوت) كتفيه معتذرا .. وطفق يقذف اللب لغمه ويصفى ..

قال (شريف) لـ (عبير) وهو يوصل أقطاب الجهاز بالدائرة ، ويفتح جهاز (الكمبيوتر) :
- هكذا .. يقوم جهاز (دى - جى - ١) بثلاث خطوات أساسية ..

أولاً : يبحث فى مقدمة مخك عن الخبرات التى لديك من قراءتك وبيعها (للكمبيوتر) ..

ثانياً : يقوم (الكمبيوتر) بابتكار أحداث عشوائية مستخدماً هذه الخبرات ..

ثالثاً : يرسل جهاز (الكمبيوتر) هذه الأحداث إلى مخك لتتفاعل معها .. هل فهمت ما سيحدث ؟
- لا ..

قالتها (عبير) فى براءة وهى تتلذذ بكونها صارت مهمة إلى هذا الحد فلم يجد مفراً من أن يتنهد ، ويتبادل نظرة ذات معنى مع (صفوت) .. ثم إنه أشار إلى جهاز (كمبيوتر) آخر وقال :

- أما عن هذا الجهاز ، فيقوم بتصوير ما ستمرين به على الشاشة .. على شريط (فيديو) ... وبهذا لن يذهب ما ترين هباءً .. لسوف نراه ، وسوف ترينه أنت أيضاً ..

ونظر فى عينيها السوداوين البرينتين وهمس :

- (عبير) .. أنت أول من يجوب هذا الكون الغريب ..
أول من يرحل إلى هذا العالم الذى هو وليد خيالك .. فهل
أنت مستعدة ؟ إن هذا مثير .. أليس كذلك ؟
- بلى !

قالتها وأرجعت رأسها للوراء .. وأخذت شهيقاً عميقاً :
سأل (صفوت) وهو يراجع سطور البرنامج على الشاشة :
- استعملت (لغة التجميع) ؟ .. لا بأس .. كم يستغرق
البرنامج فى رأيك ؟

- حوالى نصف ساعة .. لكنك تذكر قول (فرويد) :
لا وجود للزمن فى العقل الباطن .. ، هكذا سيخيل لها
أنها عاشت دهوراً كاملة فى هذا النصف ساعة .. أنت
تفهم هذا .. إن فيلماً سينمائياً مدته ساعتان قد تحدث
فيه أحداث تستغرق قرنين ...
ثم بلل بلساته شفثيه .. وغمغم :

- والآن فلنبدأ !..

وعلى شاشة (الكمبيوتر) الأول كتب أمام المؤشر
الذى يشبه علامة أصفر من (>) اسم البرنامج
(دى - جى - ١) ..

ثم ضغط زر الإدخال ..
وبدأ البرنامج يعمل ..

★ ★ ★

هى الآن تتنكر ...

كانت تريد أن تحرم (دعاء) شقيقتها من لعب
الكرة .. الكرة الوبرية الجميلة المحشوة بالإسفنج ..
أخفتها فى .. فى .. فى تجيد المقعد بين خيوط الكتان ..
كان المقعد ممزقاً منذ عرفت بوجوده ...

ثم نسيت كل شيء عن الكرة وعن مكان إختائها ..
لكنها الآن تتذكر غريب هذا ! .. $4 \times 7 = 28$.. ظل
تمام الزاوية ..

كان خالها يملك وحة على خديه الأيسر ، لهذا كانت
تكره أن تقبله .. الوحة البشعة حمراء اللون التى
توحى بالبلل ...

$6 \times 3 = 18$.. خيزرانة مدرسة التاريخ كانت
ملفوفة بشريط لاصق أخضر .. ١٨ ضربة بالخيزرانة ،
لأنها لم تحفظ الدرس .. (جوهر الصقلى) بنى
القاهرة .. كيف نسيت ذلك برغم أنه بديهى ؟ ..

(إيما لازاروس) شاعرة برتغالية هى صاحبة الكلمات
المنقوشة على قاعدة تمثال الحرية تذكرها جيداً لأنها
رأت صورتها وأحست بأنها تشبهها .. الوجه الأسمر
بارز العظام .. إلى أيها المتعبون فأتا أحمل مشعل
الحرية .. $12 \times 12 = 144$

(حمدية) الشمطاء ساكنة الطابق السفلى .. كانت
تداعبها مع زوجها بقذفها فى الهواء كالكرة .. قذفتها
نحو زوجها لكن هذا الأخير لم يلتقطها فى الوقت
المناسب .. سقطت أرضا وتهشمت عظمة ترقوتها ..
آى ! .. من الغريب أنها تشعر الآن بذات الألم الحاد
الممض .. آى ! ..

اللوغاريتمات مستحيلة الفهم .. لكنها أحببت الشعر ،
حتى ولو كان ذلك الشعر الجاهلى المتحجر ..
فقا نبك من نكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لماذا يحب شعراء الجاهلية أن يخاطبوا المثنى ؟ ..
ما أقسى بذرة الماتجو ! لكنها قضت ساعات وساعات
تحكها فى بلاط الصالة ، محاولة أن تتقبها من الطرفين
جاعلة منها صفارة .. (هند) قالت لها ذلك .. و (هند)
كانت لها قدمان جميلتان .. لكن الامتحان كان عسيراً ..
والبرص الذى يأتى فى الصيف ليقف على سقف
غرفتها لم يعد يجىء .. و $8 \times 7 = 56$
إنها تجد صعوبة غير عادية فى إيقاف شلال الخواطر
هذا

كأنه يدفعها بسرعة نحو هاوية مظلمة بلا قرار ...
تحاول التشبث بحافة المقعد ..

التشبث بغصون أشجار لا تدرى من أين جاءت ..
لكن التيار أقوى منها ...
وها هي ذى الهاوية

.....



بعد لحظات من الترنح والتمسك العصبى بمسندى
المقعد ؛ بدأ رأسها يسترخى أخيراً .. واتفح كفاها
نظر (شريف) إليها ...
كانت عيناها مغمضتين ، ورأسها يميل إلى اليسار .. ،
ومن فمها نصف المفتوح سال خيط من اللعاب إلى
صدرها ...

نظر إلى شاشة (الكمبيوتر) ، فوجد البرنامج يعمل
كأفضل ما يكون .. كان قد تعمد جعل البرنامج يكتب
على الشاشة أرقاماً ؛ ليعرف بها فى أية مرحلة هو ..
والآن كان الرقم هو (٤) .. أى أن محتوى ذكريات
الفتاة قد تنفق إلى ذاكرة (الكمبيوتر) ، وتم تليفق أحداث
عشوائية له .. والآن يعاد بث هذه الخيالات إلى عقلها ..
وعلى (الكمبيوتر) الآخر - الموصول بجهاز (الفيديو) -
كانت الشاشة ترسم حشداً من الظلال والخيالات والأرقام
بسرعة يستحيل تتبعها .. سألها (صفوت) وهو يشير
إلى تلك الشاشة :

- ما هذا ؟

- جاربيدج ..

قالها مستعملاً تلك الكلمة الإنجليزية التى تدلّ على القمامة .. الركام .. المخلفات التى تخرج من ذاكرة الفتاة بسرعة غير عادية .. ، وهو يعرف أن الفتاة لم تنس شيئاً فى حياتها .. من مذاق أول رضعة ذاقتها ، وحتى لفظة (فلنبداً) آخر ما قاله (شريف) لها .. فقط هى لا تعرف أنها تذكر ذلك .. ولا تعرف كيفية إخراجه من دهاليز عقلها .. والآن ها هى ذى تخرجه كله على الشاشة ليعاد تنسيقه ...

لكنه أحسن بالقلق من جسدها المتراخى ...

ظل يرمى الشاشتين بضع ثوان ..

ثم إبه - وقد بدأ الفأر (يلعب فى عبّه) إذا سمحتم لى بالتعبير - قرر أن ينهى التجربة عند هذا الحد ..

إن البرامج المكتوبة بلغة الآلة تصعب مقاطعتها ، وعندما تقاطع يكون الاستمرار من نفس النقطة عسيراً .. لكن (شريف) كان قد أعد حلقة دائمة تجعل (الكمبيوتر)

يتفقد المفاتيح كلما مرّ $\frac{1}{4}$ من الثانية .. فإذا ما وجد

المسطرة مضغوطة أنهى البرنامج ..

ضبط (شريف) المسطرة فلم يحدث شيء ..

أعاد ضغطها بون جدوى ...

- ماذا حدث ؟

- إنه الانهيار (كراشى) ..

والانهيار - أو الـ (كراش) - يحدث حين يدخل البرنامج حلقة مفرغة دائمة .. عندئذ تستحيل مقاطعته .. ولا يوجد حل سوى قطع التيار الكهربى عن الجهاز والبدء من جديد .. ، تم هذا نتيجة خلل فى البرمجة .. كأن تطلب من رجل أن يتوجه إلى صديق لك .. فإذا ذهب لهذا الصديق طلب منه أن يتوجه إليك ! .. وهكذا دواليك ..

- اذن أغلق الجهاز ..

ربما لو .. لحظة ...

وحاول من جديد أن يضغط المسطرة لكن (الكمبيوتر)

- ذلك الوغد - ظل متجاهلاً لها فى تعصب عنيد ..

كان مستمراً فى محاولاته حين نهض (صفوت)

وتفحص الفتاة .. مَدَّ إصبعين وفتح جفنها .. فرأى الحقة

الشاخصة المتسعة ..

قال وهو يتأمل وجهها :

- هل تريد رأىى يا (شريف) ؟

- هم م م م ؟!

- أعتقد أن هذه الفتاة قد ماتت !

.....

★ ★ ★



نهض (صفوت) وتفحص الفتاة .. مَدَّ إصبعين وفتح جفنها ..

فرأى الخدقة الشاحضة المتسعة ..

٢- من يملك الحل ؟

كان المحقق - والشهادة لله - مهذبًا ، ونجح في جعل
الجو العام للتحقيق أقرب إلى الود .. كأنهما صديقان
يثرثران ...

قال وهو يشعل لفافة تبغ - (شريف) : نسيت أن
أقول إن (شريف) قد نجح في الإقلاع عن أقراص
النضاع :

- أكرر لك يا أستاذ (شريف) .. عملي ليس هو أن
أدمرك أو أخرب بيتك .. بل عملي هو معرفة الحقيقة ..
ثم حك فوده بكفه وقرب رأسه من (شريف) وأردف :
- لهذا أتوقع منك أن توضح لي الأمر ، ودون أية
مصطلحات تقنية ..

هل (عبير) هذه ميتة أم لا ؟

قال (شريف) وهو يفك ربطة عنقه :

- ليست ميتة حتمًا .. إنها تتنفس .. وتبض .. وعقلها
يرسل موجات كهربية .. لنقل إنها في غيبوبة .. ألم يقل
أطباؤكم الشرعيون ذلك ؟
- بلى ..

قَالَهَا المحقق وأعاد تفحص الشاب الوسيم الجالس أمامه ، عيناه تتمان عن أقصى حالات التوتر والإرهاق .. شاب على حافة الانهيار العصبي وقد احمرت أنفاه كالطماطم من فرط شعور بالذنب ..
- وما سر هذه الغيوبة ؟

- لقد دخل وعيها دائرة مغلقة مع برنامج (الكمبيوتر) .. إنها غارقة في الأحلام .. لقد حدث شيء ما (لتركيبها الشبكي) المسئول عن بقائها مستيقظة ..
- إنن لماذا لا تغلق (الكمبيوتر) وينتهي الأمر ؟

- من الممكن أن نجرب هذا ، لو كنا واثقين من أن الصدمة لن تؤدي إلى وفاتها .. إن كل خبراتها ونكرياتها ، تدور دورة منتظمة من مخها إلى (الكمبيوتر) فالعكس .. فلو أوقفنا الجهاز ، بينما هذه الخبرات داخل ذاكرة (الكمبيوتر) ، فلربما أدى هذا إلى هلاكها .. ومن يدري ؟.. لربما أدى هذا إلى استيقاظها .. أو استيقاظها مخبولة عاجزة عن اتخاذ قرار .. لا أحد يدري ما سيحدث ..

- إذن فجهاز (الكمبيوتر) مستمر في العمل ؟
- بالتأكيد .. لقد حرصنا على عدم انتزاع الأقطاب من على رأسها .. وقمنا بتوصيل (الكمبيوتر) إلى

مولد صغير فى أثناء نقلها إلى المستشفى .. ثم قمنا
بنقل الدائرة لتعمل على مصدر تيار غير قابل للانقطاع
(يو - بى - إس) حتى نضمن عدم وقوع حوادث مؤسفة ..
- إذن فالفتاة الآن ..

- لنقل إنها فى حالة إحياء مؤقت .. تتغذى على
المحاليل الوريدية ، ويتم مراقبة تنفسها ونبضها ..
- وإلى متى ؟

- إلى أن تموت أو نجد مخرجاً ..
نظر المحقق إلى (شريف) وضم أصابعه قائلاً :
- أعتقد أنك فى ورطة حقيقية يا أستاذ (شريف) !
دفن (شريف) باقى لفافة التبغ فى المطفأة .. وهز
رأسه :

- نعم .. أعرف هذا !



كانت (عبير) هناك فى المستشفى .. ممددة على
فراش فى العناية المركزة ، وجوارها جهازا (كمبيوتر)
يعملان بلا انقطاع ..

كانت (تتنفس) دون عون من أحد ، وفيما عدا
الخوف من قرح الفراش الذى كان يدعوهم إلى تقلبيها
كل ساعتين ؛ لم تكن هناك مشاكل ما ، كأنها الأميرة
النائمة التى تنتظر أميرها ليوقظها ..

وعلى (الكمبيوتر) المستقبل تتوالى الصور بسرعة جنونية . يستحيل معها تبين شيء ما .. أما (الكمبيوتر) المرسل فعلى شاشته تتوالى الأرقام ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١ - ٢ - دواليك .. كانت حالة فريدة من نوعها ...

وقد جاءها حشد من الأطباء وخبراء (الكمبيوتر) ، لرؤية أول غيبوبة يسببها (الكمبيوتر) فى التاريخ .. وتم الاتفاق على نقلها إلى أحد مراكز الإحياء المؤقت فى (نيو جيرسى) بالولايات المتحدة . وأن تقوم الحكومة الأمريكية بتمويل علاجها الذى يتكلف ستمائة دولار يومياً ، وهو رقم يستحيل على أهلها البؤساء أن يوفره على مدى عام كامل ..

وهكذا .. ينتهى الأمر ببطلتنا غائبة عن العالم تماماً راقدة على فراش خاص بقرح الفراش . على حين تتوافد الخبرات العلمية لرؤيتها والإدلاء بالآراء .. ولاداعى للقول إن جهازى (الكمبيوتر) جوارها لم يتوقفا لحظة عن العمل . لأن أحدا لم يجرؤ على محاولة الإيقاف . أما عن (شريف) و (صفوت) فقد أخلى سبيلهما بكفالة لأن جريمتهم - إن وجبت - لم تكن قابلة لتصنيفها فى أية خاتة قانونية ..

عاد (صفوت) يبحث عن فتاة أخرى تدير له مكتب
(الكمبيوتر) ، على حين شد (شريف) رحاله إلى
الولايات المتحدة ..

لقد أقسم : لو أن هناك علاجاً لحالة الفتاة فهو
- حتماً - واجده قبل أى إنسان آخر ..
لن يغفر لنفسه أبداً أن تلك الفتاة المفعمة بالحياة
صارت جثة حية بسببه .. لأنها وثقت به ..



وفى (نيوجيرسى) وجد أن العلماء هناك عاكفون
على تجربة مثيرة .. إن الصور السريعة التى يلتقطها
جهاز (الكمبيوتر) من ذهن (عبير) ، قد تعنى شيئاً ..
لو أنهم فقط تمكنوا من إبطائها قليلاً فلربما استخلصوا
منها ما يطلعهم على ما تراه الفتاة فى سباتها الطويل هذا ..
وبدأت المحاولات البطولية لتصوير هذه الصور على
شرائط (فيديو) .. ثم نقل هذه الشرائط إلى أفلام
مقياس (١٦ مم) .. ثم دراسة كادرات هذه الأفلام ،
ومحاولة التوصل إلى سرعة مناسبة لعرضها ..
وأخيراً أدركوا أن السرعة المثلى هى كادران لكل
ثانية (سرعة العرض العادية هى أربعة وعشرون
كادرًا لكل ثانية) ...

وجلسوا ومعهم (شريف) يتأملون حصيلة يوم كامل
من الخيالات التي خرجت من مخ (عبير)
كان الفهم عسيراً .. والصور أقرب إلى الأطياف ...
لكنهم استطاعوا استنتاج قصة لا بأس بها ...
وعرفوا الكثير عما تمرّ به الفتاة في هذه اللحظات ...



الجزء الثالث

فانتازيا

أما وقد اقتربنا من نصف الكتيب ، فلا داعي للمزيد
من إضاعة الوقت .. ولنسرع إلى (فانتازيا) ..

١ - عالم جديد ...

ها هي ذى (عبير) تقف هناك ...
شعرها يتطاير مع الريح والشرود يطلّ من عينيها ..
وأمامها - حيث وقفت على الهضبة - يمتد نيك الوادى
السحيق ، تحيط به مجموعة من المرتفعات والغابات
متشابكة الأشجار ..

لم تكن تعرف أين هي ولا من هي ..
ثم بدأت تعرف إجابة السؤال الثانى ..
هي (عبير عبد الرحمن) .. جاءت هنا بعد اجتيازها
تجربة مولد الأحلام (دى - جى - ١) الذى ابتكره ذلك
المهندس الوسيم (شريف) ..

أين هي ؟ .. وكيف وصلت ها هنا ؟ ..
- مرحبا بك يا آنسة فى (فانتازيا) .
سمعت هذه العبارة فأجفلت .. استدارت للوراء لترى
رجلا يرتدى سترة سوداء أنيقة ، يضع يده فى جيبه ..
كان مهذباً يتمتع بوجه مريح .. لكن هذا لا يبرر وجوده
ها هنا خاصة وهي لم تره قديماً ..

- من أنت ؟

هزّ الرجل وجهه بتؤدة .. وأخرج من جيبه قلما من
الذى يفتح ويفلق بضغط أعلاه .. وقال :

- إنهم يدعوننى (المرشد) .. ومهمتى هى أن أجعلك
أكثر إماما بجواب عالمك الجديد .. إن هذا يستغرق
وقتا كما تعلمين ..

تراجعت للوراء خطوتين .. وتأملتته حيث وقف كالتمثال
أمامها .. لاشئ يتحرك فيه سوى إصبعه الذى يضغط
على القلم مخرجا ومخللا السن مرارا .. تك ! .. تك ! ..
تك ! .. تك ! ..

سألته وهى تحاول ألا تبدى رعبا :

- تبدو .. تبدو شبيها بشخص أعرفه ..

- طبعا .. أذكرك بأستاذ اللغة العربية الذى كان يدرس
لك وأنت طفلة .. كان يعرف كل شئ بالنسبة لك ،
وظل رمزا للعلم فى عقلك الباطن .. لهذا من الطبيعى
أن أكون أنا من يقودك عبر هذا العالم ..
ثم ابتسم وواصل ضغط القلم ..

- أنت ضيفة على عالمنا الذى هو عالمك الخاص ..

- ماذا تعنى ؟ ..

- أعنى أن هذا العالم كله من صنع خيالك ..
بعبارة أخرى أنت تأنهة فى دهائز عقلك .. كل هذه
الوديان .. الجبال .. الأشخاص .. كلهم من نسج خيالك
الخاص ..

لم يبدُ عليها أنها فهمت شيئاً ، فأخذ بيدها برفق ودعاها كي تنزل معه إلى الوادى .. لم تجد القوة كي تعترض ..



لاحظت أن الوادى يمتد إلى مساحة شاسعة .. وأدركت أن هناك خلف الجبال توجد مدينة كاملة شامخة المباني .. كان هناك أطفال يلعبون هنا وهناك .. وثمة فلاحاة تملأ جرة ماء من نهر لا تنكر (عبير) أنها رائته من أعلى ..

وكانت هناك قضبان قطار تمر بمحاذاة النهر .. ثم رأت القطار نفسه يدنو .. قطاراً مكوناً من عربة صغيرة زاهية الألوان ، تجرها مقطورة بدائية .. ورأت القطار يقف أمامها كأنه بانتظارهما ..

- هذا هو القطار وسيلة التنقل فى (فاتنازيا) ..
قالت (المرشد) وهو يقودها إلى ذلك القطار العجيب ..
دعاها للصعود فلم تجد مفراً .. وضعت قدمها اليمنى على الدرجة المعنية الأولى ثم تبعها باليسرى .. وشرع القطار يهتز قاصداً وجهته المجهولة ..

قال لها مبتسماً وهو يسترخى فى مقعده الخشبى البسيط :
- كما ترى يشبه الأمر ذلك القطار الذى يجوب بالزوار مدينة (ديزنى لاند) ..

لم ترد لأنها كانت منهمكة تراقب الأشياء العجيبة
التي تتلاحق على جانبي الطريق ..

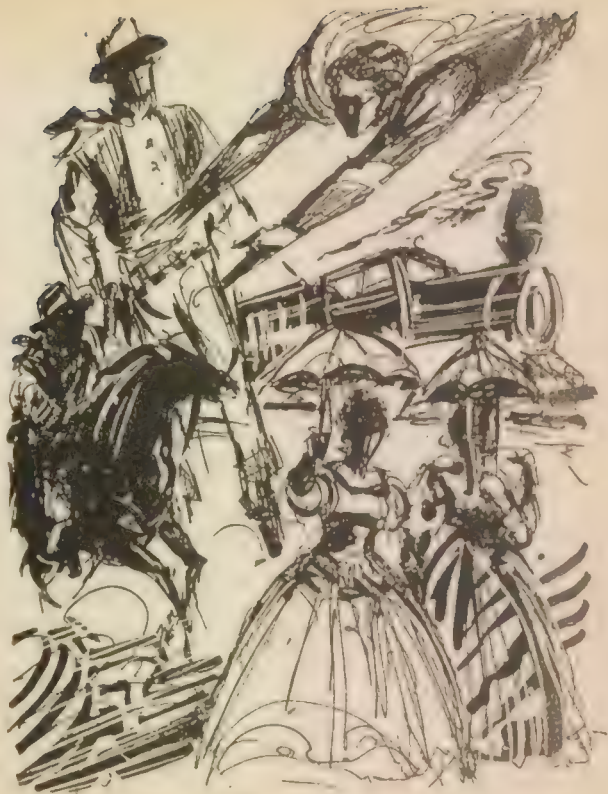
كانت هناك مدينة تشبه مدن رعاة البقر في كل
شء .. الحانة واسطبل الخيول وعربات المسافرين ،
وفي الشارع الرئيسي رأت فارسين يتقدمان ببطء نحو
بعضهما ، ويد كل منهما تحوم حول مسدسه ..

ثم رأت كلا منهما يسحب سلاحه بسرعة البرق ،
وسمعت دوى الرصاص ، ثم رأت جثة أحدهما ممددة على
الأرض تنزف دماً ..

- هنا الجزء الخاص بقصص (الوسترن) - قال
(المرشد) إذ رأى اهتمامها - ويمكنك هنا أن تقابلي أبطالاً
قرأت عنهم مثل (بافالوبيل) و (ديفي كروكيت) .. هل
ترغبين في النزول هنا ؟
- لا ..

الثلج يتكاثف على الأرض ، وريح باردة تهب عاصفة
بجسدها النحيل .. والسماء تكفهر ببطء .. وبعد ثوان ألفت
القطار يسير بين الثلوج .. وفجأة وجدت المشهد يتبدل
لترى أدغالاً إفريقية تتلألأ تحت شمس حارقة .. وثمة
فرس نهر يتناعب في مستنقع ..

قال (المرشد) وهو يداعب القلم :



كانت هناك مدينة تشبه مدن رعاة البقر في كل شيء ..

- هذا هو الجزء الخاص بأدغال (إفريقيا) .. يمكنك
هنا أن ترى أبطال (هي) أو (كنوز الملك سليمان) ..
أو لورد (جراى ستوك) الشهير بـ ...
هآآآآآآآآآآآه !

دوت الصيحة المألوفة فى أنها فنظرت لترى ذلك
العماق الأبيض يتوالب بين الأشجار متعلقا بفرع
متدل ، يتبعه (شامبانزى) صغير ..
تحركت شفتاها لتكمل عبارة (المرشد) والانبهار
يخنفها :

- ... الشهير بـ (طرزان) !
القطار مستمر فى طريقه ..
ترى الآن مدينة تشبه مدينتها ، وأزقة كالتى تربت
فيها .. ووجوها لا يمكن إلا أن تكون مصرية .. سألت
(المرشد) فى حيرة :
- وهذا ؟

- إنها قاهرة أبطال (نجيب محفوظ) و (يحيى حقى)
وغيرهم ..

يمكنك هنا أن تقابلى (أحمد عبد الجواد) وسواه ..
ظلت ترمق المشهد مفتونة ، بينما القطار يواصل
رحلته الغريبة ..

وها هي ذي ترى مدينة حديثة ، تلتمع ناطحات
سحابها في ضوء الشمس .. وفي السماء تحلق طائرة
مدنية يتصاعد الدخان الأسود من محركاتها ..

يبدو أن قائدها يلقى مشكلة ما ...

وفي اللحظة التالية ، ترى شيئاً ما يشق عنان
السماء .. شيئاً بدا لها أشبه بخط طويل أزرق - أم لعله
أحمر ؟ - يدور دورة واحدة ثم يتجه إلى ذيل الطائرة
ليمسك بها ..

وتوازنت الطائرة ثم شرعت تهبط - ببطء - إلى حيث
اختفت خلف المباني ..

وسمعت (عبير) (المرشد) يقول لها وهو (يتكثك)
القلم :

- أهو طائر أم طائرة ؟ .. لا .. إنه (سوبر مان) !

- أتعني أنه هنا ؟ .. هذا شيء خيالي !

- ولم لا ؟ ... إن الخيال هو اسم اللعبة هنا يا صغيرتي ..

كان الظلام قد بدأ يسود المدينة .. اللون الأزرق
يغلف ناطحات السحاب بلا رحمة ، وفجأة هي ذي ترى
دائرة من الضوء تسقط على جسم إحدى الناطحات ..
وفي وسط الدائرة ارتسم ذلك الخيال المؤلف .. خفاش
يفرد جناحيه ..

- إنها (جوتام سیتی) .. هناك متاعب ما دفعتهم
لاستدعاء الرجل الوطواط ! .. هل تريدان النزول هنا ؟
- لا .. - متلاحقة الأنفاس - أريد أن أرى هذا العالم
كله مرة واحدة !

- لن تجدى عمراً كافياً لذلك .. إن كل إبداعات
الإنسان عبر العصور هنا ..

الآن تنتهى المدينة ، وتجد نفسك وسط خراب إغريقية
تحوم فوقها طيور لها وجوه بشر .. وترى رجالاً أقياء
كالأسود يصارعون مسوخاً .. ومن بعيد يتحرك عملاق ذو
عين واحدة يصطدم رأسه بالسحاب .. وعانت الشمس
تشرق ..

قال (المرشد) فى لامبالاة :

- هذا هو عالم الأساطير الإغريقية .. حروب طروادة ..
(ميدوسا) و (هركيول) و (وأطلس) ..

القطار يمر بجبلين .. وتمتد (عبير) عنقها الناحل
لترى رجلاً ضخم العضلات معلقاً بين الجبلين وهو
يتلوى ألماً ..

- هل ننقذه ؟

- دعك منه .. إنه (برومثيوس) يتلقى عقابه على
سرقه النار المقدسة ..

ثم تتأعب وأردف :

- لمصوف ينقذه (هركيول) يوماً ما ..

القطار يمشى الآن ببطء على حافة واد سحيق مظلم ..
وترى (عبير) الوادى أقرب إلى وديان القمر بحفره
البركانية العميقة ورماله الرمادية .. ثم ترى من بعيد
شيئاً أشبه بقذيفة المدفع ، وشيئاً أشبه بالكرة .. تميل
على (المرشد) تسأله :

- وما هذا ؟

- إنه عالم القمر حيث أحداث (أول رجال على القمر)
و (من الأرض إلى القمر) ..

- إذن كيف نتنفس نحن بهذه السهولة ؟

- لأن كل هذا خيال .. لكنك لو نويت مغادرة القطار
لاستحال عليك التنفس لأنك ستعاملين وقتها بقواعد
القصة ..

ومن بعيد تدور المكوكات الفضائية وتحوم الأطباق
الطائرة .. ثمة سفينة فضاء عملاقة ، تطلق إشعاعات
خضراء على كل ما يتحرك فينفجر .. وتتناثر الشظايا ..
- عالم روايات الفضاء .. ستجدين هنا كل ما كتبه
(آرثر كلارك) و (راى برايبورى) و (إيزاك أزيموف)
و (نهاد جاد) و (رعوف وصفى) وغيرهم ...

ويستمر القطار فى الاهتزاز ماراً بما يمكن أن يكون
مدينة فرنسية من القرن الماضى .. نساء يرتدين تنورات
طويلة ويحملن المظلات ، يلوحن بأيديهن للقطار .. ورجال
يرتدون (الرينجوت) يلوحون بقبعاتهم

- هل تحبين الروايات العاطفية الفرنسية ؟

- لا أدرى ..

- هنا تقابلين عادة الكاميليا ، ومدام (بوفارى) ،
وكل بطلات (بول بورجييه) وغيره .. ومن يدرى ؟ ..
ربما قابلت (أرسين لوبين) ! ثم ظهر حشد من الغوغاء
يتصايحون .. كأنها مظاهرة .. وقد تقدم أحدهم الموكب
يحمل راية مثثة الألوان ، وخلفه آخر يحمل بندقيته ..
والموكب يحيط بعربة تجرها خيول ، يقف بداخلها
مجموعة من الرجال والنساء الذين تتم ثيابهم الرثة عن
أصل راق عومل بعنف ..

قال لها (المرشد) :

- هذا المكان يسبق ما رأيناه بمائة عام .. هؤلاء

النبلاء ذاهبون إلى المقصلة !

- تعنى أن هذه (قصة مدينتين) لـ (تشارلز ديكنز) ؟

هز رأسه فى سأم وغمغم :

- وكيف لى أن أعرف ؟ .. ربما كانت إحدى قصص
(فكتور هوجو) ..

وتسمع الحشد يهلل فتشبح ببصرها عن المنظر
القاسى ..

ومن بعيد ترى غابة أخرى .. غابة تختلف عن
الإفريقية التى رأتها .. وتسمع صوت بوق يدوى .. ثم
ترى عشرات الأشخاص يرتدون ثياباً خضراء ، ويثبون
من فوق الشجيرات ، بينما كل منهم يحمل فى يده قوساً
وسهماً .. قال (المرشد) :
- هذه هى

- نعم .. نعم .. (شيروود) حيث يعيش (روبن هود)
الخارج على القانون .. ولكن من هو هذا الفارس المثلث
الذى يحمل رمحاً ؟

- إنه (إيفانهو) .. كلها أساطير إنجليزية عتيقة ،
لكننا ندين بالفضل للسير (والتر سكوت) الذى جمعها
ونسقها .. مثلما فعل (عبد الرحمن الأبنودى) بكل
التراث المبعثر عن (أبو زيد الهلالي) ..

وبدأ المشهد يتكشف عن مجموعة من القلاع رهيبة
الشكل .. وألسنة البرق تهوى من السماء لتعطىها
- لثوان - منظرًا يجمد الدماء فى العروق ..
قال (المرشد) وهو يشير لها إلى بعيد :

- هذا هو عالم الرعب هنا .. هذه الشامخة هناك هي قلعة الكونت (براكيولا) .. ستجدين هنا الكثير من المذعوبين والموتى الأحياء ، ولربما صادفت د . (فرانكنشتاين) عاكفا على اختراعاته الشنيعة .. ولربما قابلت العجوز (إسماعيل) !

- يا للهول ! .. أنا لا أهوى الرعب ..

- وأنا مثلك .. لهذا لا أزور هذا المكان كثيرا ..

ويترك القطار هذه الهضاب لتري من بعيد بحيرة تتوسطها جزيرة .. والجزيرة يتوسطها بركان شبه ثائر .. معركة بالمسدسات بين رجال يرتدون ثيابا معنية براقعة ورجل متأنق يرتدى بذلة السهرة البيضاء ورابطة عنق ، بينما يمسك في يده يد حسناء شقراء ، ويطلق الرصاص باستمرار .. ويجرى ، من العجيب أن الرجال المعدنيين كانوا يسقطون .. في حين لم تؤثر فيه طلقاتهم على الإطلاق كأنما يضربونه بالحلوى ..

ودنت طائرة (هليكوبتر) غريبة المنظر ، فتعلق الرجل ببابها ، وساعد الفتاة على الصعود .. وأطلق طلقتي رصاص فتكنا ستة رجال .. لا أرى كيف - ثم وثبت إلى الطائرة : ومن بابها المفتوح أخرج يده يلوح بكأس من (الشمبانيا) للرجال المطارين الذين ظلوا أحياء ..

- ما هذا الهراء ؟

- إته العميل (صفر صفر سبعة) .. أو بعبارة أخرى
(جيمس بوند) فى إحدى قصص (إيان فلمنج) .. ألا
تقرئينها ؟

- بلى .. قرأت واحدة فى سن العاشرة وكدت أموت
غیظاً من لا معقولية الأحداث ..

- إن (جيمس بوند) له معجبه .. وعلى كل حال
يمكنك ألا ترتادى هذا الجزء ..



ومن بعد رأت (عبیر) مدينة يعود طراز مبانيها إلى
القرن الماضى ، أو أوائل هذا القرن ..

كانت العربات ذات الخيول تمضى هنا وهناك فوق
الأرضية المصنوعة من الحجارة ، على حين يتصاعد
الضباب فى كل مكان ، رجال شرطة يرتدون ثياباً
سوداء وقبعات عالية غريبة ، يسرون هنا وهناك
ملوحين بهراواتهم ...

وكان الرعاع يتبادلون السباب بلغة فظة .. فهم
لا ينطقون الهاء بتاتاً بل ينطقون الهمزة بدلاً منها ،
وحتى بأتجليزيتها الكسيحة أدركت أنهم يتحدثون بلغة
سوقية خشنة ..

قال لها (المرشد) وهم يعبرون السوق المزدهم :

- (لندن) القرن الماضى وبدايات هذا القرن .. هـى
مسرح لعدد كبير من القصص المسلية ..
وواصل ضغط القلم وتركه .. تك .. تك .. تك ! ..
(لقد بدأت هذه العادة تثير أعصابها حقاً) .. وأردف .
- ستجدنين هنا (شيرلوك هولمز) وكل شخصيات
(تشارلز ديكنز) .. لربما صادفت (أوليفر تويست)
يتسكع فى مكان ما .. هناك عالم شاب فى داره الان
يجرب آلة الزمن ، بينماد . (جيكل) يتحول إلى مستر
(هايد) فى معمله المظلم .. وشخص ملثم يعبر
الطريق ، دون أن يعرف أحد أنه هو الرجل الخفى ..
وفى أحد الأقبية يرقد الكونت (دراكيولا) فى صندوقه
الخشبي المستورد من (رومانيا) . عازما على مص
دماء (مينا) !

ثم نظر لها نظرة إغراء .. وسألها :

- هل نتوقف هنا ؟

نظرت له وقلبها يخفق انفعالا ..

- لِمَ لا ؟

وهكذا توقف القطار ...

ونزلت منه (عبير) لترتاد هذا العالم

★ ★ ★

٢- أدركنى يا مستر (هولمز) !

ابتسم (المرشد) لـ (عبير) وقد رأى اتبهارها بهذا العالم :

- إذا ما سئمت (لندن) هذا العصر ، يمكنك الاتجاه غرباً إلى حيث تجدين (لندن) المعاصرة .. أو شرقاً إلى حيث تجدين (لندن) فى عصور غابرة .. وكما قلت لك لا مستحيل هناك ..

كانت هى تسير مبهورة فى عالم لا يصدق ..
بائعات الزهور يسرن هنا وهناك ، ورجال الشرطة يرمقون الصبية المتشردين بعين الشك . على حين تشق العربات ذات الخيول طريقها عبر الشوارع التى تنيرها مصابيح (الكيروسين) على أعمدتها ، وينزل من هذه العربات رجال متأنقون ، يرتدون السترات الطويلة والقبعات العالية ، يتأبطون أذرع نسوة يرتدين التنورات الواسعة المزركشة بالدانتيللا ، ويحملن مظلات تقيهن المطر ..

كان الجو معتماً وسحب كثيفة تغطى وجه الشمس الذى يطل على استحياء من أعلى ..

وكان هناك سيرك فى نهاية الشارع ، يقف على بابـه
رجل بدين ، يكرر - دون كلال - كلمات لا بد أنها دعاية
لما بالداخل ، وجواره رجل نحيل أسمر ينفث النيران
من فمه .. وفقير هنـدى يلف ثعباناً من نـوع (الأصلة)
حول جذعه الناحل ..

قال لها (المرشد) وهو يشير إلى السيرك :

- لو دخلت لربما رأيت الرجل الفيل ذاته (*) !

ابتسمت .. ونظرت له فى امتنان ..

لم يخطر لها قط أن خيالها قادر على اصطناع هذا
العالم الساحر الذى يدير الأعناق

أما الجديد فى الموضوع ، فهو أنها أدركت فجأة . أنها
لم تعد ترتدى ثيابها العصرية الرخيصة .. نظرت لأسفل
فوجدت أنها ترتدى ثوباً واسعاً مزركشاً بالدايتيلا ، فوقه
تايور أنيق .. ووجدت فى يدها مظلة ، وعلى رأسها قبعة
عالية ، أدركت من نظرة إلى صورتها فى واجهة محل
أنها محلاة بالزهور ...

(*) جون ميريك أو الرجل الفيل شخصية حقيقية عاشت فى
القرن الماضى وكان يعانى من تشوه خلقى مربع جعله أقرب إلى
فيل بشرى ، ومن العجيب أن المطرب غريب الأنوار (مايكل
جاكسون) دفع مبلغاً فادحاً لشراء مومياء هذا الرجل الفيل .



نظرت لاسفل فوجدت أنها ترتدى ثوبا واسعا مزركشا

بالدانتيللات ، فوقه يايور أنيق ..

إن (دى - جى - ١) يؤدى عمله جيذا ..
لقد أعد لها كل شيء كى تندمج فى القصة ..
الأغرب هو أنها صارت قادرة على فهم الإنجليزية
والكلام بها ، لا تدرى كيف .. حتى إنجليزية الرعاع
المشوهة التى يسمونها (كوكنى) لم تعد غريبة عليها ..
قالت (للمرشد) وهى ترمى أحد السكارى يخرج من
حانة :

- ومتى أستطيع مغادرة هذا العالم أيها المرشد ...؟
وقطعت عبارتها لأنها أدركت أنه لم يعد واقفا
جوارها .. ! ..

لقد اختفى (المرشد) بعد أن قادها إلى قلب (لندن)
فى القرن التاسع عشر .. وكأنه أنهى مهمته ...
تركها وحيدة لتعيش مغامرتها ! ..



رأت أمام عينها لافتة محل كبير اسمه (ستانفورد) ..
فخطر لها أن تدخله لتتفقد المعروضات بالداخل ..
لسوف يعطيها هذا فكرة أفضل عن أزياء هذا العصر
ولوازمه ..

ثم لماذا لا تشتري شيئا ؟ .. كانت الآن تعرف أن فى
كيس نقودها مبلغ مائة جنيه استرلينى لا تدرى كيف

جاءت .. لكنها تكفيها في الوقت الحالي .. إن (لندن)
بالتأكيد لم تكن باهظة التكاليف في تلك الزمن المبارك ..

دخلت المحل ، وشرعت تتأمل في اتبهار الموديلات
الخشبية التي تمثل فتيات يستعرضن أناقتهن ...

كانت هناك علب تبغ كثيرة ، وكتب ، وأدوات كتابة ،
وقطع أثاث فاخرة .. لقد كان المحل أقرب إلى ما نسميه
اليوم (سوبر ماركت) ..

وكانت البائعات يركضن في كل الأرجاء - كالثحل - على
حين وقف رجل بدين أصلع ، يرتدى ثيابا متحذلقة ،
وقد قلب شفته السفلى اشمنزازا ؛ يصدر لهن تعليماته
وينتقدن بغلظة ..

من الواضح أن هذا هو المستر (ستانفورد) نفسه ..
ثم اختلست نظرة لخارج المحل فرأت رجلين يتناجيان ..
أحدهما متأنق شعر رأسه بلون الثلج ، والآخر رث الثياب
يبدو كالعمال .. وبعد قليل رأته الرجل رث الثياب يدفع
باب المحل الزجاجي ، ويتقدم إلى البائعات الحسناء ، حاملا
لغافة ما ...

- هل أستطيع معاونتك يا آنسة ؟

بوغت (عبير) للحظة .. ثم نظرت للوراء فرأت
بائعة شقراء يملأ النمش وجهها ، وتفرك يديها في
تأدب ، منتظرة إجابتها ..

قالت (عبير) بعد أن تنحنحت :

- لا شيء .. أعنى .. كنت أبحث عن راديو صغير

و ..

كان كلامها بالإنجليزية كما قلنا .. وخرج من فمها
سلساً إلى حد غير متوقع .. ولم تكن تملك ما تطلبه
سوى (الراديو) لأنها تعرف أن البائعة ستهز كتفيها
أسفاً .. وتقول :

- (راديو) ؟ .. عفواً .. ليس لدينا .. هل هو نوع

من الشاي ؟

ابتسمت (عبير) فى إحراج :

- نعم .. نعم .. شاي هندي ممتاز .. لكن ...

- آه .. أرى .. لم لا تجربين شاي (إيرل جراى)

وارد مستعمراتنا ؟

- لم لا .. ؟ .. أعطيني منه علبة ..

وتركتها البائعة لتحضر الشاي .. على حين ذهبت

(عبير) من الرجل رث الثياب الذى تقف بجانب البائعة ..

وكان مستر (ستانفورد) الذى قد تدخل فى شئ ما ..

بينما الرجل يكرر :

- ثق بأن هذا هو الصواب .. إنها أميرة تالمان ..

لكن مستر (ستانفورد) قال :

- كيف لي أن أتأكد ؟

قال الرجل وهو يجفف عرقه :

- إن لنعتقد اتفاقاً .. ستعرضها أنت في واجهة المحل ،
وتعطيني بها إيصالاً دون أن تدفع بنسأ واحداً .. وإذا
جاءها مشتر يمكنك إعطائي نقودي بعد أخذ عمولتك ..

- ما رأيك يا (هيلين) ؟

قالها مستر (ستانفورد) سائلاً البائعة .. وقد بدا
عليه التفكير .. لم يكن يطلب رأيها قدر ما يطلب مهلة
لاتخاذ القرار ..

قالت الفتاة في كياسة :

- إن كان هذا فلن نخسر شيئاً يا سيدي .. يمكننا قبول
العرض .. نظر (ستانفورد) للرجل ، ثم عاد يتأمل
اللفافة ..

- المشكلة هي أنني لا أفقه شيئاً في التحف .. كيف
أتأكد من أن هذه المروحة أصلية ، وأنها تخص الملكة
(تى) شخصياً ؟!

هرش الرجل رث الثياب عنقه وغمغم :

- إن لهذه الأشياء مشتريها .. ولسوف يعرفونها حين
يرونها في واجهة المحل .. وكما قلت لك ، أنت لا تطالب
أحداً بشيء .. من يريدّها سيأخذها دون مشاكل ..

- إتنى أجد نفسي مدفوعاً إلى قبول عرضك ..
- الشاى يا آنسة !

دوت العبارة فى أذنسى (عبير) فاستدارت لتقرى
البائعة ، وقد جلبت لها ما أرادت .. شكرتها .. وذهبت
إلى الصراف لتدفع ثمنه أسفة على أنها لم تستكمل
المحادثة المثيرة للاهتمام ..

وخرجت من المحل لتقرى ذلك الرجل المتأنق أشيب
الشعر ، يقف على جانب الطريق الآخر .. ورأت الرجل
رث الثياب يلحق به ويتبادلان بضع كلمات ..
ومن نافذة المتجر رأت العاملة تضع المروحة الفرعونية
المزعومة فى إهمال ..

وفى اللحظة التالية رأت شيئاً مثيراً للاهتمام .. الرجل
المتأنق يعبر الشارع إلى واجهة المحل ليرمق المروحة
فى اتبهار .. ثم يجتاز الباب إلى الداخل ...
كان هذا أقوى من تحملها .. فعبرت الشارع جرياً
هى الأخرى ودخلت المحل فى اللحظة المناسبة ، بينما
كان المتأنق يتجه نحو إحدى البائعات فى تؤدة .. وسمعت
المدير يجيبه :

- نهار جميل بالورد (ثاكرى) ..
إنهم يعرفونه .. ولكن لماذا ؟... .. ولكن .. لتصغ
لباقى المحادثة عليها تفهم ما يحدث ..

قال اللورد وهو يرفع عكازه فى وقار ويداعب شاربه :
- حفظ الله الملكة يا عزيزى مستر (ستاتفورد) ..
كنت ماراً من هنا ، فوجدت فى واجهة المحل ما بدا لى
كمروحة أصلية تخص الملكة (تى) .. أنت تعرف ولعى
بالآثار !

تبادل المدير والباتعة نظرة ذات معنى .. يالها من
مصادفة ! .. ثم رسم على وجهه سيماء التاجر الحاذق
وقال :

- الواقع أنك لم تخطئ الحدىس يا سيدى اللورد .. لقد
وصلتنا هذه المروحة مع أحد المستكشفين من (مصر)
منذ أسبوع ، وحرصنا على أن يراها عملاؤنا مرهفو
الذوق واسعو الثقافة ..
- كم ؟

هرش المدير صلغته فى شرود .. فهو لم يفكر قط
فى تشمين هذا الشيء الذى رآه لأول مرة منذ ربع
ساعة .. ثم قال :

... عشرة .. عشرة آلاف .. أو لنقل
- ماذا ؟ - هتفت اللورد كأنما رأى لتوه تجديفاً خارقاً -
عشرة آلاف ؟
- إذا كان السعر

سادفع لك عشرين ألفاً حالاً .. أنت لا تحسن تقدير
التحف الفرعونية إلى درجة إهانتها !
ورأته (عبير) يخرج شيكاً ليدون عليه الرقم ،
ويعطيه للمدير ، ثم يتجه للباقة التى ناولته المروحة ..
ويخرج من الباب وسط الانحناءات والذهول ..
وعبر النافذة رأته يعبر الشارع إلى الرصيف الآخر ..
ورأته يناول المروحة إلى الرجل الآخر رث الثياب الذى
كان ينتظره !!



كان هذا فوق احتمالها ...
ما معنى هذا الذى حدث ؟ .. لابد أن له تفسيراً ..
ولكن من يعينها على الفهم ؟!



سارت عبر الطرقات تتأمل العربات والناس ..
برغم أنها - كما قلنا - لم تكن تجيد الإنجليزية : كان
من السهل عليها الآن أن تطالع اللافتات وتسمع لغو
القوم وتعرف أين هى بالضبط ..
لم تغلق بصدد أين تبين ليلتها ؛ لأنها تثق بقدرة
(دى - جى - ١) على الحكم .. ومن يدري ؟ .. ربما كانت
هذه هى مغامرتها المرتقبة .. أن تبحث عن مأوى .. !

ها هو ذا (بيكر ستريت) .. إن الاسم مألوف لها ..
مألوف أكثر من اللازم ، ولكن متى وأين ؟ ..
وهنا تفكرت ..

لقد قرأت هذا الاسم مرارا في أثناء مطالعتهم لروائع
(آرثر كونان دويل) .. فهذا هو الشارع الذى يقيم
فيه - حسب القصة - أذكى مخبر بوليسى عرفه العالم :
(شيرلوك هولمز) ..

ولم تكن تعرف أن التاريخ قد خلد هذا الشارع ،
وأنه - حتى فى دنيا الواقع - ما زال هناك من يأتون إلى
هذا الشارع متوقعين أن يقابلوا هناك المخبر العبقري .. !



هنا يجدر بنا أن نتوقف لحظة لنقول شيئا عن
(هولمز) ..

ابتكر السير (آرثر كونان دويل) هذه الشخصية عام
١٨٩١ مستوحيا شخصية أحد أساتذته فى الجامعة ،
وبعد ما قرأ بضع قصص لـ (إنجار آلان بو) ..
وبرغم أن الشخصية أحدثت دويا سريعا ثم خبت ..
إلا أنها سرعان ما عادت للحياة فى عام ١٩٠١ ، وصار
الإقبال على قراءتها كاسحا فى كل بقاع العالم ؛ بسبب
الشخصية الجذابة لهذا المخبر البريطانى الرصين ..

ولقد سيطرت هذه الشخصية على إنتاج الكاتب إلى حد أنه صار عاجزاً عن التخلص منها ، وقوبلت كتاباته الأخرى بفتور بالغ ..

بل إنهم - عام ١٩٥١ - أقاموا معرضاً خاصاً لـ (هولمز) في إنجلترا ، وكونوا جمعية لأصدقائه ، ودرست أجهزة التحقيق الجنائي في كل أرجاء العالم أساليبه وطبقتها .. لقد كان (هولمز) نموذجاً لعبقرية أديب استطاع أن يخلق عالماً متكاملًا متشابهًا إلى حد أنه صار أسلوب حياة ..



سألت (عبير) أحد المارة عن دار مستر (هولمز) فأشار لها إلى باب موحد جواره مقبض مخصص للطرق ..

ها هي ذي تدق المقبض وتنتظر ..
ينفتح الباب عن رجل أميل للبدانة ضيق العينين يرتدى سترة من الصوف المنقوش بالمربعات ، وله شارب كث معتنى به ..

- معذرة سيدي .. كنت أبحث عن مستر (هولمز) ..
اتحنى الرجل في أدب ليعينها على الدخول ..

وفى هية دخلت .. إلى قاعة جلوس اشتعلت فى ركن
منها نيران مدفأة ، كانت القاعة غير منسقة تنم عن
إهمال شديد وقلة اكتراث بالنظام ..

دخان التبغ يملأ المكان - كأن حرباً دارت هنا - مما
جعل التنفس عسيراً ، وكانت هناك أوراق وملفات ملقاة
فى كل مكان .. وثمة كمان ملقى على أريكة ..
وعلى الحائط رأيت ثقبين .. ثقبين رصاص ، كأن أحدهم
كان يتدرب على الرماية بالمسدس محاولاً أن يرسم
حروفاً على الحائط ...

وعلى إحدى الأرائك رأيته ممدداً وقدماه - اللتان دسهما
فى خف صوفى - مستراحتان على مسند ..

كان هذا (شيرلوك هولمز) نفسه كما تخيلته مراراً !
- ماذا هناك يا عزيزى (واطسون) ؟

- إن هذه الآئسة تعتقد أن لديها ما تقوله لك
يا (هولمز) .. إن فهذا هو د . (واطسون) صديق
(هولمز) الصديق الذى يحكى قصصه كلها ! .. إن هذا
لا يوصف ! .. كما تخيلته تماماً باننا ضخمًا محلود الذكاء
لكنه نبيل ومخلص ...

قال (هولمز) وهو يعتدل فى جلسته :

- تفضلى بالجلوس أى آنستى .. (واطسون) .. لو
كنت خارجا الآن فلا تنس أن تمر على متجر (براد)
وتوصيه بأن يرسل لى أجود ما عنده من تبغ ..
ثم نظف غليونيه والتفت إليها ..
- بيم أستطيع أن أساعدك ؟

كان فى منتصف العمر .. وسيما مهيبا .. يميل شعر
رأسه إلى الشيب وقد بدأ يتساقط فى مقدمة جمجمته .. ،
وكان أنفه محدبا كصقر وذقنه الحليقة مدببة توحى
بقوة الشكيمة ..

وكان يرتدى روبا منزليا قصيرا من نوعية
(الكاروهات) ..

كل شىء فيه كان يوحى بالهدوء والثقة ...
قال لها إذ وجد أنها تجد صعوبة فى الكلام :
- على رسلك يا آنسة .. لا تخفى عنى شيئا .. أرى
أنك لست إنجليزية .. ربما من شمال إفريقيا .. وأرى
أنك قطعت مسافة طويلة إلى هنا ، وأنك رأيت ما يريب
فى متجر (ستانفورد) منذ دقائق طويلة .. ويبدو لى
أنك جئت (لندن) بالقطار منذ ساعة !

كأنت تعرف أسلوب (هولمز) فى إبهار زواره جيدا
لكنها لم تستطع مقاومة الفضول .. كيف عرف ؟

قال (هولمز) إذ رأى حيرتها :

- هذا شيء أولى يا صغيرتى ..

أولاً : لا يبدو عليك أنك إنجليزية ، ولامحك أقرب إلى ملامح المصريين ..

ثانياً : يبدو عليك الانهماك مما يجزم بأنك كنت على سفر ، خاصة والمطر كان يهطل على (لندن) طيلة اليوم ، فلو كنت هنا لابتلت ثيابك .. إلا فى الساعة الأخيرة حيث صار الجو صحوًا ..

ثالثاً : أنت تحملين لفافة عليها علامة متجر (ستانفورد) ..

رابعاً : واضح أنك رأيت ما يريب هناك وإلا لما جئت لى !

ابتسمت (عبير) وتأملت اللفافة فى يدها - لفافة الشاي - ثم قالت :

- أنت رائع حقًا كما قالوا عنك يا مستر (هولمز) ..
الواقع أن ما رأيته حدث فعلاً فى متجر (ستانفورد) منذ دقائق .. رأيت رجلين يسيران معاً .. أحدهما دخل المحل وترك لمديره مروحة فرعونية ثمينة ثم خرج .. بعدها بدقيقة دخل الرجل الثانى المحل وابتاعها بثمن باهظ .. ثم خرج ليعطيها للرجل الأول ! .. لا أجد أى تفسير لهذا الذى حدث ..

مال (هولمز) فى مقعده وقد بدا عليه الاهتمام :

تعنين أن المروحة كانت مع الرجلين منذ البداية ؟

- نعم .. كل ما فعلاه أنهما دفعا مبلغا باهظا للحصول على ما كان معهما بالفعل ..

- إن هذا يثير الشكوك حقاً ..

وأفرغ غليونه فى مطفأة السجائر .. ثم أعاد حشوه

وسألها :

- وهل عرفت أيًا منهما ؟

- الثانى .. كان متأنقاً .. وسمعت مدير المحل يدعو

بلورد (ثاكرى) .

- لورد (ثاكرى) ؟ .. غريب !.. !.. !.. إتنى أعرفه ..

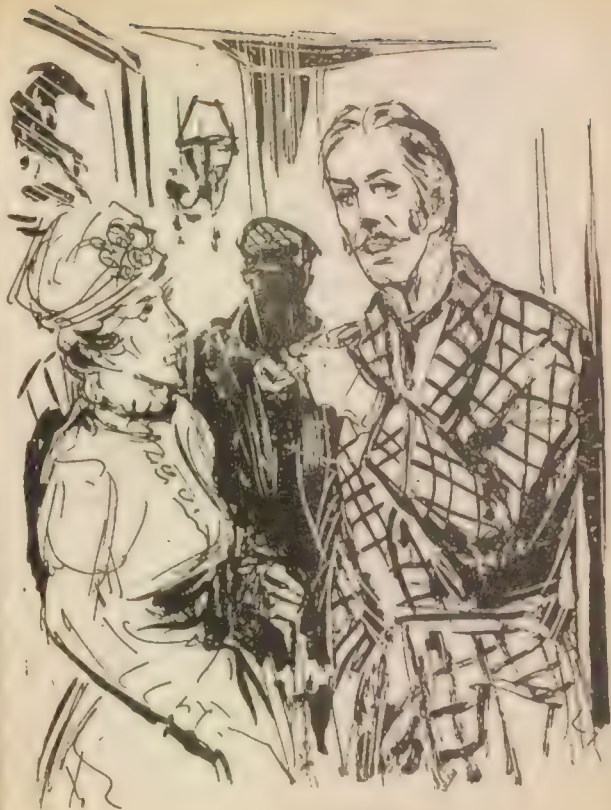
كيف يمكن أن يتورط فى شيء كهذا ؟

- أى شيء ؟

نظر لها فى رزاة .. وابتسم وقال بغموض :

- هذا هو ما سنحاول معرفته!





وابتسم وقال بغموض :

— هذا هو ما ستحاول معرفته !..

٣- لورد (ثاكرى) ... !

قال (هولمز) وهو يتصفح بعض الأوراق أمامه :
- إن لورد (ثاكرى) لمن الأشخاص المشهود لهم
بالأمانة والشرف وعراقة النسب ، وهو بالفعل مهتم
بالمصريات ، وقد عاش فى الهند فترة ، ثم ذهب إلى
(مصر) حيث خلّبت الحضارة الفرعونية لبه . ولا أحسبه
إلا رجلا هريفا .

ثم نظر نحو د . (واطسون) الذى كان قد عاد من
الخارج وسأله :

- أنت سمعت هذه القضية العجيبة يا د . (واطسون) ،
وأحسبك قد كونت رأيا فيها .. فهل أسمعنى رأيك ؟
قال د . (واطسون) وهو يشعل غليونه :

- حفظ الله الملكة يا عزيزى (هولمز) .. يخيّل لى
أن هذه المروحة الفرعونية مسروقة .. وكان هذا هو
السبيل الوحيد للحصول على فاتورة تدلّ على أنها بيعت
فى محل محترم ..

فى توتر هتفت (عجير) وهى تستعيد ما رآته بالتفصيل :
- لكنه لم يأخذ فاتورة بها يا د . (واطسون) .. أنا
واثقة من هذا .. لقد كتب شيكا للمحل بالثمن وحمل
المروحة وذهب ..

أضاف (هولمز) فى تودة :

- ثم إن أحذا لا يدفع عشرين ألف جنيه من أجل هذا
يا (واطسون) .. إن لتصرف البضائع المسروقة أساليب
أكثر سهولة وأقل تكلفة .. كلا .. لابد من حل آخر ..
ثم إنه نظر نحو (عبير) :

- أحسب أنك لا تجد مكانا تمضين فيه أمسيك
يا آنسة .. إن (واطسون) لكفيل بأن يجد لك فندقا
محترما .. أما أنا فسادخن بضعة غلايين من التبغ
الممتاز ، وأفكر فى هذه القضية المستعصية .. ولسوف
أزورك كى أبلغك بما يستجد ..
- ليكن ...



وهكذا ...

وجدت (عبير) نفسها تمضى ليلتها فى غرفة فندق
من الطراز الفيكتورى ، تحيط بها ستائر الدانتيللا ،
وقطع الأثاث المبطنه بالمخمل الأحمر ، والمدفأة المشتعلة
باستمرار يعلوها شمعدان عتيق ..

ولم تملك إلا أن تتمنى لو كان هناك جهاز (تليفزيون)
من الطراز الفيكتورى لتتسلى به ، فلا يوجد الآن فى

حوزتها سوى الصحف ورواية عملاقة من روايات (بيكنز)
وجبتها هناك .. لقد كان (بيكنز) هو (تليفزيون) ذلك
العصر حقاً ..

وبينما هي جالسة تتأمل غرفتها ، دق الباب ودق معه
قلبها .. هرعت إلى هناك تتسائل عن الطارق .. فسمعت
الصوت الهادئ المحبب لـ (هولمز) يطلب منها أن تفتح ..
طبعا لم يكن من ديدنها أن تستقبل الرجال في
حجرتها .. لكن هذا كله كان خيالا محضاً .. وهي لا تملك
إلا أن تدهش ، كلما تذكرت أن كل هذا الأثاث والعالم
المتشابك ، ليس سوى حلم تحلمه ..

وفتحت الباب لـ (هولمز) ورفيقه (واطسون) ..
كانا منهكين .. وعيناها مملونتان الدم من فرط إرهاق ..
قال لها (هولمز) وهو يريح قامته الفارعة على
أريكة :

- اليوم ذهبنا إلى متجر (ستانفورد) - وهو بالصدفة
متجرى الأثير - فعرفنا من مديره أن الشيك الذى كتبه
لورد (تاكرى) صحيح تماما ولا غبار عليه ، وقد قام
المتجر بتحصيله فوراً من البنك ..

أضاف د . (واطسون) وهو يخلع قبعته :
- وقد عاد الرجل رث الثياب إلى المتجر وحصل على
ثمان المروحة ، وهو عشرة آلاف جنيه .. طبعا زعم

مستر (ستانفورد) أنه لم يحصل على اثني عشر ألفا ..
- إن تلك العجوز (ستانفورد) تاجر بارع .. وهو
قادر على انتزاع الذهب من بين أسنان الموتى ..
ونهب (هولمز) يزرع الغرفة في تودة ..

كان يرتدى تلك الثياب التي اشتهر بها .. البيريه
الغريب الشبيه بالكاسكيت .. والعباءة التي يغطي بها كتفيه
دون أن يخرج نراعيه منها .. والغليون المصنوع من
خشب ثمين بمبسمه الذي صيغ من (الكهرمان) ..
قال - (عبير) وهو يتأمل لهب المدفأة :
- ثمة خبر صغير ينبغي أن تعرفيه ..

- وما هو ؟

- ذهبنا - أنا و (واطسون) - إلى منزل اللورد (ثاكري)
كي نسأله عن سر هذه الصفقة المريبة .. لم تكن ينبغي
سوى أن نجعله يتعثر في القول ، إلا أننا وجدناه قد
مات !



وهكذا اكتملت قطع اللغز في خلال عشر ساعات ..
مروحة فرعونية .. صفقة غامضة .. موت .. كل
القطع موجودة لا ينقصها سوى عقل بارع يقوم بتنسيقها
في شكل صورة مفهومة ..

ولم ينم (هولمز) هذه الليلة ..
قضى الليل كله فى حجرته يدخن الغليون ، ويتأمل
نيران المدفأة ، ويعيد ترتيب أحداث هذه القضية الغامضة ..
كذلك (عبير) لم تنم ليلتها ..
ظلت ساهرة فى حجرتها تسترجع كلمات (هولمز)
عن موت اللورد :

- ذهبت مع (واطسون) إلى منزل اللورد كى نحاول
استجوابه ، لكننا وجدنا الباب مفتوحاً ولم يكن هناك خدم
كى يستقبلونا ..
وما إن دخلنا حتى وجدنا إدارة (سكوتلانديارد) كلها
هناك ..

لقد وجد رئيس الخدم سيده ميتاً فى مكتبه الذى كان
قد دخله عصر اليوم . حاول أن يسعفه ، لكن اللورد
كان ميتاً .. ميتاً جداً إذا صح التعبير ، وأكد أن أحداً لم
يدخل الدار أو يصعد إلى سيده منذ دخل مكتبه طالباً
عدم المقاطعة .

لم تكن هناك آثار عنف أو سرقة .. كل ما هنالك هو
أن اللورد كان جالساً على مكتبه ، وقد ارتسمت فى عينيه
نظرة مثيرة للهلع ، وإلى جواره قارورة صغيرة تحوى
سماً زعافاً يبدو أنه ابتلعها بالكامل .. وكان هناك خطاب

انتحار صغير على المكتب يقول : اغفروا لى .. هذا هو
المهرب الوحيد من اللغة التى تطاردنى . وإلى جوار
هذه الورقة المختصرة ، وجدنا المروحة الفرعونية إياها ..
وإلى جانبها واحد من قواميس اللغة الهيروغليفية ،
مما يرجح أنه كان عاكفا على فك رموز النقوش التى
امتلات بها .. ، وإبنى لأسائل نفسى عن السبب الذى
يجعل المنتحرين غير ميالين للثروة .. لو أتنى نويت
الانتحار لكنت لمن سيجدون جنتى كراسة كاملة تحوى
أسباب انتحارى وخواطرى وآرائى فى الحياة ، فأنا
لا أريد منهم أن يشقوا بأسئلة لا إجابة لها ..

تذكرت كذلك ما قاله (هولمز) :

- السؤال الأهم هو لماذا انتحر اللورد ؟ .. إن الإجابة
عليه هى مفتاح القضية كلها .. السؤال التالى فى الأهمية ،
هو ما المكتوب على المروحة ويدفع رجلاً شجاعاً
للانتحار ؟ .. السؤال الأخير هو ، أين ذهب الرجل رث
الثياب ؟

ثم إنه قال لها وهو يرتدى البيريه المميز له ..
- إنها لقضية معقدة .. أعتقد - وأرجو ألا أكون مخطئاً -
إنها تحتاج عقلاً ناضجاً إضافياً ..

ثم نظر نحو (واطسون) وقال بلهجة الطلب :

- إن (هيركيول بوارو) سيكون خير عون لى !!
فغرت (عبير) فاما فى بلاهة .. (هيركيول بوارو) ؟..
لكن كيف ؟.. هو و (هولمز) و
- هل تعنى (هيركيول بوارو) المخبر البلجيكى ؟
- حتماً !

- لكنه فى (لندن) المعاصرة .. أعنى .. أنه سيجىء
العالم بعد ما لا يقل عن خمسين عاما !
- هل نسيت أننا فى (فانتازيا) ؟ .. لا وجود لقيود
الزمان والمكان يا آنسة .. لو أن هناك عقلية تفوق
عقلية (بوارو) فى عصر الرومان لجئت بها معى !
ثم أشعل غليونيه وقال :

- إن هذا البلجيكى جيد حقاً وموهوب .. ولولا محاولته
المضحكة للتظاهر بأنه يجيد الإنجليزية ، لقلت إننى
أميل إليه .. هل سبق لك أن رأيته ؟
- نـ .. نعم فـ .. فى

وأمسكت ...

كانت تريد القول إنها رأيته فى خيالها مراراً ..
المخبر البلجيكى الأصلع الميال إلى البدانة ، الذى يعنى
بأناقة شاربه وبذلتته إلى حد مبالغ فيه ؛ ذلك المخبر
الذى اختار (انجلترا) ليعمل فيها مع صديقه المخلص
أ محدود الذكاء - هو الآخر - كابتن (هاستنجز) ..

لقد ولد (بوارو) من عقل كاتبة قصص بوليسية
 موهوبة ، هي (أجاثا كرسى) .. واكتسب حيوية فائقة
 قاربت جاذبية (هولمز) بل كادت تفوقها ... ولقد كتبت
 (أجاثا كرسى) عن شخصيتين أخريين ، هما (مس
 ماربل) و (باركر باين) لكنهما لم تستطعا أن تصلا
 إلى سحر ومغناطيسية (هيركيول بوارو) العجوز ..
 كانت (عبير) - منذ أعوام طوال - قد قرأت قصة
 مترجمة يلعب بطولتها (أرسين لوبين) و (بوارو)
 و (مس ماربل) .. وقد شعرت وقتها بالعجب من أن
 يتزامن هؤلاء ويتواجدوا بين دفتى كتاب واحد ، ثم
 فطنت إلى أن هذا استهتار زميم من المترجم ، الذى
 يترجم أية رواية ، ويبدل أسماء أبطالها كما يشاء ؛
 ليجذب إليه القراء الذين يبحثون عن أحد هذه الأسماء
 الشهيرة

الآن ها هي ذى ترى من جديد هذا التزامن العجيب ،
 بين شخصيات متباعدة فى الزمان والمكان .. لكنها اليوم
 تصدق كل هذا .. وتؤمن به .. وتحبه ...

وهي ذى تنتظر فى حجرتها ، عالمة أن البرقية التى
 أرسلها (واطسون) ستصل إلى (بوارو) فى الصباح ...



فى الصباح ذهب إلى دار (هولمز) فى (بيكرستريت)
فوجدته منهما فى التدريب على الملاكمة ..

ولم يثر هذا دهشتها ؛ لأنها تعرف أن (هولمز) - برغم
قلة اهتمامه بالرياضة - ملاكم ممتاز ..

فما إن انتهى حتى جلس على الأريكة يجفف وجهه
بالمشفة ، ثم تناول الكمان الصغير وشرع يعزف عليه ..

الملاكمة والموسيقا ... هوايتا (هولمز) الوحيدتان .
بالإضافة إلى تدخين الغليون وحل القضايا الغامضة ..

بعد ساعة من الصمت الذى لا يقطعه سوى صوت
أوتار الكمان ، دق الباب فنهض (واطسون) ليفتحه ...
لقد بلغت الهلوسة أقصى مداها الآن ...

فمن الباب يدخل ذلك الرجل البدين الأصلع الذى
يرتدى بذلة عصرية تعود إلى خمسينات القرن العشرين ،
ومعه شاب رياضى البنيان لا تكف عيناه عن الحركة ..
قال البدين وهو يداعب شاربه بأنامله ويصلح رباط
عنقه :

- تحية يا عزيزى (هولمز) .. جنت و (هاستنجز)
بمجرد أن وصلتنى برقيتك .. أرى أنك لم تزل تؤدى
ما يفترض منك أن تؤديه ! نهض (هولمز) فى رصانة
وصافح الرجل ..

- نهارك سعيد يا مستر (بوارو) .. إن الغموض المخيم
على هذه القضية ليحتاج إلى عقلين حاذى الذكاء ..
ظلت (عبير) ترمق المشهد فى اتبهار .. إنه اللقاء
- مستحيل الحدوث - بين قطبين من أقطاب الرواية
البوليسية الإنجليزية : (شيرلوك هولمز) و (هيركيول
بوارو) ..

وللمرة الأولى ، لاحظت التشابه الشديد بين الاثنين فى
الطباع .. والتشابه الأشد بين مرافقيهما .. إن (واطسون)
هو (هاستجز) آخر .. كلاهما محدود الذكاء مخلص
كالكلاب معدوم النفع والضرر .. لكن كليهما يتكفل بدور
الراوى لحكايات صديقه ...
قال (هولمز) لضيغه :

- لم نسمع عنك مؤخرًا ..

- كنت مشغولاً مع قاتل الحروف الأبجدية ، الذى
لا يقتل إلا حسب الترتيب الأبجدى .. ويقتل فى كل مدينة
شخصاً يشترك معها فى الحرف الأول من الاسم .. كانت
قضية معقدة ، وكلفتنى إجهاد خلايا مخى الرمادية ..
قال (هولمز) وقد أحس أن ضيغه يستعرض عضلاته :

- أما أنا فعائد من (ديفون شاير) ، حيث كنت أحقق
فى قضية كلب عائلة (باسكرفيل) .. لقد كدت ألقى
حتفى فى هذه القصة ، ولا أدرى إن كنت تعلم تفاصيلها ..

- أعرفها .. أعرفها ياسيدى .. وأعتقد أن للحظ دوراً كبيراً فيها .. ولكن .. أرى أنك لم تتحل بالنظام بعد .. ما زلت مهملاً قليل الترتيب .. وأنت تعرف ولعى بالنظام والأشكال الهندسية .. حتى أنني أتمنى أحياناً لو وجدت بيضاً مكعباً !

- سأفترض يا مستر (بوارو) أن ضف لغتك الإنجليزية ، هو سبب ما يخيّل لى أنني أسمع من انتقادات مهينة للغاية ..

وهنا أدرك (واطسون) أن الرجلين سيتشاجران ما لم يتدخل هو فى كياسة ليهدي النفوس ..

صاح بصوت جهورى :

- أرى أيها السيدان أن تدخر جهودنا لحل القضية التى نحن بصدها ..

صمت الرجلان وقد أدركا أنه محق فى هذا على الأقل ..

★ ★ ★

كان عرض (واطسون) للقضية جيداً ، وتدخلت (عبير) فى بعض المواضع لتضيف بعض الأفكار أو التفاصيل .. وبرغم أن (بوارو) لم يبد اهتماماً كبيراً بها ، فباتها كانت تؤمن بحقها فى التدخل .. أليس كل

هؤلاء يعيشون فى خيالها ؟ .. حتى الثياب التى يرتدونها
هى التى ألبستهم إياها ! .. كأنها صاحبة مسرح يطالبها
الممثلون بعدم التدخل فى أدائهم .. فكيف تقبل !؟ ..

بعد انتهاء القصة ساد الصمت هنيهة ..

ثم إن (بوارو) تساءل فى تودة :

- والسم الذى جرعه هذا اللورد .. ماذا كان نوعه ؟

قال (هولمز) وهو يدرس يده فى جيبه :

- لا أدرى فالطب الشرعى لم يخترع بعد .. لكنى

حصلت على الزجاجة من مفتش (سكوتلانديارد)

- وتمسكها هكذا ؟ .. والبصمات ؟

- تنسى أننا لانفحص البصمات فى هذا الزمن

ولاندرى شيئا عنها ..

تناول (بوارو) القتينة وتشممها هنيهة ثم غمغم :

- رائحة اللوز المر .. إنه سياتور .. كيف كان منظر

الجبّة حين رأيتموها ؟

قال د . (واطسون) وهو يشعل غليونه :

- كانت عيناها مفتوحتين يا مستر (بوارو) .. وكانت

الحدقتان متسعيتين تماما ..

- هذه هى علامات التسمم (بالأتروبين) يا عزيزى

(هاستنجز) .. فالسياتور لا يوسع حدقة العين .. وهذا

يعنى أن اللورد قد توفي بسم غير الذى وجدناه جواره ..
والأمر بصورته الحالية يشير إلى جريمة قتل !

نهض (هولمز) ، وذرع الغرفة جينة وذهابا .. كان
يشعر بالغىظ لأن مؤلف قصصه - (آرثر كونان دويل) -
لم يكن ذا خبرة بالسموم مثل مؤلفة (بوارو) (أجاثا
كرستى) ، التى عملت فترة طويلة كمشرفة على قسم
السموم بالمستشفى فى أثناء الحرب العالمية الأولى ..
قال (هولمز) :

- « إن هذا شيء أولى يا عزيزى (واطسون) ..
هناك من جعل اللورد (ثاكرى) يجرع (الأتروبين) .
ثم بادر بإخفاء القنينة . ووضع ورقة الاعتراف هذه ..
ولماذا يبدل نوع السم ؟ .. لأنه يشير بوضوح إلى
شخص القاتل .. إن (الأتروبين) يستعمل لعلاج المغص ..
وأعتقد أن أقدر الناس على إعطائه للورد هو طبيبه
الخاص .. فإذا تصورنا لحظة أنه قام بتركيب جرعة
زائدة . تناولها اللورد بسلامة نية ؛ فإن من واجب هذا
الطبيب أن يدارى قنينة السم التى تشير إليه ، ويضع
بدلاً منها قنينة أخرى فارغة تفوح منها رائحة اللوز
المر ..

تسائل (واطسون) :

- ولكن كيف ومتى دخل الطبيب غرفة المكتب ؟ ..
وكيف أرغم اللورد على كتابة هذه الرسالة المزعومة ؟
داعب (بوارو) شاربه في ثقة وقال :
- إن الأمر يشير إلى رئيس الخدم .. فهو القادر على
تبديل القارورتين ، وقادر على دس السم للورد في
دوائه ، وقادر على ترك هذه الرسالة .. وقادر على
الكذب علينا ..

ثم نهض وأصلح ربطة عنقه :
- أرى أن نذهب إلى مسرح الأحداث .. ولنسوف نرى
هناك ما ينعش خلايا مخنا الرمادية أكثر ..



٤ - الحقائق تتضح ... !

هتف (هولمز) فى سائق العربة وهو يحكم غلق
أزرار معطفه :

- هلم يا صاحبى إلى (ريجنت ستريت) .. ولئن أوصلتنا
هناك سريعا فلسوف أمنحك جنيها كاملا ..

وأخرج ساعته من جيب صدريته وشرع يتأمل
عقاربها ...



فتح رئيس الخدم فى منزل لورد (ثاكرى) الباب لهذه
المجموعة الغريبة من الناس : (هولمز) و (واطسون)
و (عيبر) ..

وكان يعرف الأولين ، لهذا سمح لهم جميعا بالدخول ..
نظر (هولمز) إلى الرجل .. المتهم رقم واحد فى
الوقت الحالى .. فوجده رجلا نحيلاً مهذباً شاحب الوجه
راقى اللغة ..

سأله وهو ينزع معطفه عن كتفيه :

- من يدفع لكم أجوركم الآن ؟

- محامى اللورد (ثاكيرى) حريص على ألا يتغير شىء
وإلى أن يصل وريث اللورد الوحيد من (أمريكا) .. لهذا
يدفع لنا أجورنا بانتظام ..

مال (هولمز) على أنن (بوارو) وهمس :

- أسمعت ؟ .. هناك وريث اللورد (ثاكيري) .. إن

تقاليد قصصى الفكتورية تحتم أن يكون القاتل هو الوريث !

- أما أنا فتقاليد قصصى تحتم أن يكون القاتل هو

رئيس الخدم !

- الوريث !

- رئيس الخدم !

رفع رئيس الخدم حاجبيه فى تهذيب :

- هل يطلب السادة شيئا معنا ؟

- نعم .. أ .. نريد أن نرى غرفة مكتب اللورد ثانية ..

- هذا مطلب غير معتاد .. لكنى أعرف أننى أستطيع

الثقة فى مستر (هولمز) خاصة ، ورجال (سكوتلانديارد)

يثقون به ..

وتقدمهم صاعداً فى الدرج إلى الغرفة المذكورة ..

وعلى الباب وقف ينتظرهم فى أدب حتى يفرغوا ..

كان (بوارو) أول من دخل ، فاتحنى يتفحص المكتب

الذى كانت أدراجه موصدة بطبيعة الحال .. ثم إنه ركع

على ركبتيه يتفحص الأرض ، حيث كان طرف السجادة

ينتهى تحت أرجل المكتب ..

هبط (هولمز) إلى جواره ليرى ما يثير شغفه ..

الرجل الذي
 كان ينادي
 بالسلامة
 (السلامة)



كان (يوارو) قد وجد طريقة مخزقة لمقابلة في إهمال هناك .. نظر لها

ثم (الرجل الذي) وهو ينظر له ..

كان (بوارو) قد وجد وريقة ممزقة ملقاة في إهمال
هناك .. نظر لها ثم ناولها لـ (هولمز) وهو ينظر له
نظرة معناها : أترى ؟

كانت الريقة خطابا يحمل توقيع اللورد في أعلاه ،
والخطاب موجه لبعض شركائه الماليين ، يقول الخطاب
في آخر فقرة منه :

« .. ولهذا - ونظرا لضيق حالتي المالية - أجد نفسي
مضطرا لبيع كل أسهمي في شركة (سميث أند وارين) ..
أرجو أن » .

وينتهي الكلام هنا ؛ لأن باقى الصفحة كان ممزقا
بأناقة ، كأن هناك من تعمد تمزيق الجزء الباقي ليترك
الكلام مبتورا ..

قال (هولمز) وهو يبتسم :

- إن تكلمة الكلام معروفة لكلينا ..

- (اغفروا لى .. هذا هو المهرب الوحيد من اللغنة

التي تطاردنى) ! .. لقد اقتطع القاتل هذا الجزء الموحى

وتركه أمام اللورد ليقنعنا بانتحاره .. وبخط يده !

وهنا جئت (عبير) على ركبتيها جوار الرجلين ..

وأدنت فمها من أذن (هولمز) لتهمس له :

- هذا الخادم .. إنه هو

- هو من ؟

- هو الرجل رث الثياب الذى كان مع لورد (تاكرى)
فى ذاك المحل .. الرجل الذى عرض المروحة للبيع .. !
- إن القضية تتضح أكثر ..

ثم إن (هولمز) نهض على قدميه ، وضَمَ أطراف
معطفه على جسده ، وقال لرئيس الخدم :

- قل لى يا صديقى .. هل سبق لك أن ذهبت إلى متجر
(ستانفورد) ؟

فَتَح الرجل فاه ليتكلم ، لكن (هولمز) قاطعه فى
كبرياء ..

- قبل أن تكذب ، عليك أن تعلم أن هذه الآتسة رأتك
هناك . وهى مستعدة لأن تقسم على ذلك .. وحتى
لا تخونك الذاكرة أقول لك إن الأمر كان يتعلق بأثر
فرعونى له أهمية خاصة ..

وبنا أكثر من الرجل الذى امتنع وجهه .. وأردف :
- إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نربط بين عملية
البيع والشراء المريبة هذه ، وبين مصرع اللورد الذى
نستطيع أن نؤكد أنه ليس انتحاراً ..

نهض (بوارو) من على ركبتيه ، وقد احتقن وجهه
حنقاً .. ومن أثر الانحناء ، هو الذى لم يعتد ذلك قط ..
وصاح :

- يا لهذا الإنجليزى المتحذلق ... ! .. لماذا تتعجل مواجهته
بما نعلم ؟ كان ينبغي أن تنتظر أكثر ، حتى تضيق الخناق
عليه تماما !

قال (هولمز) فى كبرياء :

- هذا هو أسلوبى إن لم يرق لك ..

- إنك تتبع أساليب عتيقة عفا عليها الدهر ..

كان رئيس الخدم يتراجع للوراء أكثر .. لكنه اصطدم
بـ (هاستنجز) الذى لم يكن ضعيفا فى الواقع .. فقال
فى ضيق وهو يعود لمكاته :

- ليكن .. أنتم تعرفون كل شيء إذن .. فى الواقع إن
المروحة كانت مسروقة .. اللورد نفسه سرقها حين
كان فى (مصر) .. ولما كان العجوز يقدس الشرف
فإنه شعر بأنه لن يكفر عن خطيئته ما لم يشتري هذه
التحفة المسروقة ، ويدفع فيها مالا .. لقد كانت له نزوات
غريبة ، وأجبرنى على تركها فى متجر (ستانفورد) ،
ثم دخل هو المتجر قبل أن يشتريها واحد آخر ، واشتراها
هو

تبادل (هولمز) و (بوارو) النظرات .. ثم نظر
الأول إلى (عيبر) :

- لقد كان تصرفا شريفا ، لكن أحدا لم يستفد به ..

ربما لو كان تبرع بهذا المبلغ للفقراء بدلاً من (ستانفورد)
فاحش الثراء ، لكان هذا أدنى للعقل ...

قال (بوارو) وهو يمشط شاربه :

- من الواضح أنه كان بحاجة إلى عملية بيع
وشراء .. وأجروا على القول إنه لهذا السبب بالذات باع
أسهمه في شركة (سميث أندوران) كي يوفر بعض
السيولة لهذا التكفير ..

هنا هتف (واطسون) وهو يجلس على أحد المقاعد :
لكننا لم نفسر بعد لماذا قتل ..؟

مشى (بوارو) ذارعا الغرفة والمشط في يده ..
وقال :

- دعنا نخمن .. ربما قُتل رئيس الخدم من أجل
السرقَة .. فهو يعرف أن لديه مبلغا كبيرا من المال ،
كما أنه لن يكون مضطرا وقتها لرد المبلغ الذي حصل
عليه من متجر (ستانفورد) ..

أضاف (هولمز) وهو يشعل غليونه :

- وربما كان رئيس الخدم هو من سرق المروحة
للورد .. وخشى أن تدفع صحوة الضمير هذا الأخير إلى
الإبلاغ عنه . فقتله ..

قال (بوارو) في شرود :

- ولربما أراد الحصول على المروحة لنفسه ، فقتل
اللورد ثم وضع مكانها مروحة زائفة ..

والتقت خمسة أزواج من العيون المتشككة على وجه
رئيس الخدم الممتقع .. وقد بدأ العرق البارد يسيل على
جبينه .. وسأله (هولمز) :

- والآن ماذا تقول يا سيدى ؟

قال رئيس الخدم وهو يبتلع ريقه :

- الأمر أبسط من هذا يا سادة .. الحقيقة هي أن

.....

مرحباً بعودتك يا (عبير) !!



٥ - العودة ...

دعونا الآن نرجع بضع صفحات إلى الوراء ..
كما قلنا آنفاً ، كلن العلماء فى (نيوجيرسى) عاكفين
على دراسة الصور المتلاحقة المنبعثة من ذهن الفتاة ..
ثم خطر لأحدهم أن يدرس الفقرات التى تنقطع فيها
النفضات عن الوصول إلى الشاشة ، هذه الفترات لابد
أن تكون موازية للفترات التى يستقبل فيها عقل الفتاة
كل شيء ، ولا يرسل شيئاً ..

فلو أنهم أغلقوا جهاز (الكمبيوتر) فى إحدى هذه
الفترات ، تكون الفرصة لا بأس بها فى أن تصحو الفتاة
سالمة ..

إنها لمخاطرة .. خاصة وأن الفترة لا تزيد على واحد من
ستين جزءاً من الثانية ، لكن الأمر يستحق المحاولة ..



وهكذا قاموا بتطوير (كمبيوتر) ثالث ، مهمته إيجاد
التزامن الدقيق ، القادر على قطع الدائرة فى اللحظة
المختارة ..

وحول جثمان الفتاة وقفوا يتبادلون النظرات .. ثم
هتف (شريف) وهو يحبس أنفاسه :

- الآن !

وفى الحال بدأ (الكمبيوتر) يعمل ..
كان يبحث عن نقطة الالتحام الضعيفة بين حلقات
السلسلة ..

ووجدها بعد ثوان
وعلى الفور اختفت الصورة من على شاشتى
(الكمبيوتر) الأول والثانى ..
وقبل أن يقتلهم القلق سمعوا الفتاة تسعل بصوت
مسموع ..

★ ★ ★

- مرحباً بعودتك يا (عبير) !
قالها (شريف) والانفعال يعصف به ، وهو يحاول
ألا يبكى أو يرتجف .. فى حياته لم ير لحظة أجمل من
هذه ..

لقد فتحت عينيها أخيراً ! ..
النظرة الزائغة الخاوية لما حولها .. العنان الحمران ..
شفاتها ملتصقتان بفعل اللعاب الجاف .. ثم ...
- أين أنا ؟

- أنت بين أصدقاء محبين ! .. لقد عدت من عالم
الوهم !

هنا كان رد فعلها خارقاً للعادة ..
لقد هبت من الفزاش كثور برى هائج .. وفي جنون
صاحت :

- لماذا أيها الحمقى .. لماذا ؟
تبادلوا النظرات محاولين فهم ما تعنيه ..
- لقد كنت على وشك معرفة سبب قتل اللورد (ثاكري) !
ثم أمسكت بقميص (شريف) واعتصرتة بين يديها :
- كان معي (هولمز) و (هركيول بوارو) .. هل
تفهم هذا يا أحمق ؟ .. لقد كنت أعيش أجمل لحظات
عمرى .. هل تفهم ؟
بالطبع لم يفهم .. لكنه هز رأسه متظاهراً بالإدراك
العميق ..

وفي ذهنه تردد السؤال : هل جنت البائسة أخيراً ؟



كانت قد نسيت الكثير من التفاصيل ..
لكنها إذا جلست مع (شريف) تشاهد شرائط (الفيليو)
التي تم التقاطها لأحلامها - بدأت تسترجع مشاهد عديدة ..
ثم تسترجع كل شيء ..
- (شريف) - سألته وقد وجدت ألا داعي للألقاب
بعد تجربتها العجيبة - كم من الوقت ظللت في غيبوبة ؟

- أربعة أسابيع وثلاثة أيام ..

- لا أفهم .. إذن أنا ظلت أحلم طيلة هذه الفترة ،

وبرغم هذا لم أعش في الحلم سوى ثلاثة أيام ؟

قال وهو يحك ذقنه في شرود :

- قلت لك ألا وجود للزمن في العقل الباطن .. الإحساس

بالزمن ذاته خاضع لتقديرنا الشخصي ..

- لكنكم لم تسجلوا سوى عشرة شرائط برغم ما قلته

عن سرعة تلاحق الصور على الشاشة .. كان من

المفترض أن تسجلوا ألف شريط إذن .. أين ذهب كل

هذا ؟

- قلت لك إن عقلك كان يرسل الكثير من الركام

(جاريبيج) ، وكان علينا أن نلخص ما ترين ليتمكن

فهمه ..

لم تفهم .. لكنها لن تحاول أكثر .. كفاها الآن أن

تراقب الصور على شاشة (التليفزيون) .. ها هي ذي

صورة المرشد يكلمها .. صورة قطار (فانتازيا) ..

(طرزان) يقفز بين الأشجار .. صور رديئة مشوشة ،

لكنها - بالنسبة لها - مفهومة واضحة .. (جيمس بوند)

بييد مهاجميه .. (لندن) .. متجر (ستانفورد) ..

- لم أر نفسي في أية صورة ..

هذا طبيعي .. كنت تعيشين الأحداث من وجهة نظرك ،
فلم يكن من الممكن أن ترى نفسك (من الخارج) أبداً ..
(شيرلوك هولمز) جالسا على الأريكة يدخن الغليون ..
غرفة الفندق .. د . (واطسون) يصل إلى المكان ..
(هوارو) و (هاستنجز) .. رئيس الخدم يفتح الباب ..
البحث تحت المكتب ..

كانت تسمع الحوار بالإنجليزية .. حتى صوتها هي
كان واضحاً ، لكن كان من المستحيل عليها الآن أن
تفهم حرفاً مما يقال .. وحتى (شريف) قال لها إن
الحوار (يبدو) بالإنجليزية لكنه لا يفهم مقاطعه ..
لقد عاشت في حلم .. لكنها قادرة على استعادته كلما
أرادت ..



- (شريف) .. أعدنى إلى (فانتازيا) !
قالت لها بينما الطائرة تهدر محركاتها إباناً بالإقلاع ،
فمال عليها كي يسمع أكثر وناولها قطعة من اللبان
لتلوكها ، وقذف في فمه بقطعة أخرى :
- معذرة .. إن طنين أذنى
- قلت لك أعدنى إلى (فانتازيا) !

- مستحيل يا (عبير) .. لقد كنت تموتين .. ألا تفهمين ذلك ؟

- نعم لا أفهمه .. أنا بخير الآن .. وأنت قادر على إصلاح هذا البرنامج ، ومنع ذلك الخلل من أن يتكرر ..
إننى أحببت هذا العالم يا (شريف) .. وجدت كل ما افترضته فى حياتى هناك .. ولم يزل ذلك الكون مفعماً بالفرص والاكتشافات .. تخيل أننى لم أر سوى واحد على الألف من هذا البلد الغامض ! صدقنى لن تكون لحياتى جدوى ثائية واحدة ، طالما أنا بعيدة عن أرض أحلامي .. لقد كنت أبكى بحرقة فى طفولتى ؛ لأننى أرغب فى دخول مجلات (ديزنى) لألهم مع (ميكى ماوس) و (دونالد داك) .. ،
واليوم أنت ذا تقدم لى هذه الفرصة وتحاول حرمانى منها ..
- عزيزتى .. إن

- ستوافقى يا (شريف) .. أنت لم تتعلم القسوة بعد ..
تتهدد فى استسلام .. وغمغم وهو يرمق السحب خارج النافذة :

- أعدك أن أفكر فى الأمر !..

★ ★ ★

إن (عبير) تعرف - كما نعرف نحن - أن (شريف) سيوافق .. لسوف يصلح البرنامج ، ويأخذها فى رحلة

أخرى إلى (فانتازيا) .. وكما قلنا آنفا لم تكن (عبير) جميلة ولا مثقفة ولا قوية .. لكنها تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تملك هذه القدرة ، غدا الكون كله طوعا لها .. وصارت بطله حقيقية من أبطال الروايات التي تقرأها طيلة الوقت ..

ستكون لـ (عبير) جولات وجولات ..
ولسوف نضيف نحن المزيد من الحكايات المسلية إلى رفوف مكتباتنا ، أو فوق جهاز (التليفزيون) إذا كنتم ممن يضعون الكتب هناك !



فى المرة القادمة نذهب مع (عبير) إلى (الاشيا) ، حيث يجول الكونت غريب الأطوار المسمى (فلاد الوالاشى) .. والذي نعرفه نحن باسم ... (دراكيو لا) ...



قصة لا تنتهى

الفرار ! .. الفرار ! .. الفرار من معالم
شارعك .. من رائحة الأوراق على مكتبك ..
الفرار من أصحاب الوجوه التى لا تتغير ..
الفرار من ذكرياتك .. من همومك .. من كل
من كانوا لك أعداء ، ومن كل من كنت لهم
عدواً .. الفرار إلى عوالم الحلم .. إلى
مدينة لم ولن توجد إلا فى مخيلة الحالمين
مثلى ومثلك .. الفرار ! .. الفرار ! ..



د. احمد خالد توفيق

الشمس فى مصر ١٢٥
وسايعاتك بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع كامل صقر بالقاهرة - القاهرة - ت ٥١٠٠١٥٥